

فضل المراقبة





الشيخ ندا أبو أحمد




شبكة
الألوكة





الكتاب الجامع للفضائل

(63)

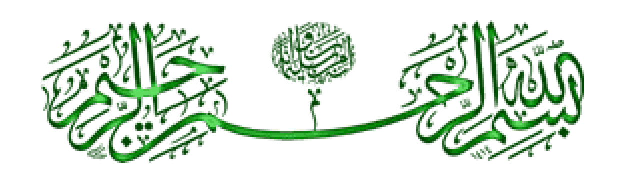
فضل العفو والصفح - فضل حسن الخلق

فضل المراقبة

الشيخ/ندا أبو أحمد







فضل العفو والصفح- فضل حسن الخلق

فضل المراقبة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.



نبض الرسالة

أولًا: فضل العفو والصفح:

أولًا: فضل العفو والصفح من القرآنِ الكريمِ:

ثانيًا: فضل العفو والصفح من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة:

ثالثًا: فضل العفو والصفح من أقوالِ وأفعال السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

ثانيًا: فضل حُسن الخلق:

أرسل الله تعالى النبي ﷺ ليتمم صالح الأخلاق.

حسن الخلق وصية النبي ﷺ.

حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحباب، ويقل الأعداء.

أحبُّ عبادِ اللَّه إلى اللَّهِ أحسنُهُم خلقًا.

حسن الخلق من كمال الإيمان.

حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان.

حسن الخلق يجنب المسلم منزلة السوء يوم القيامة.

حسن الخلق يحفظ على المسلم حسناته ويجنبه الإفلاس يوم القيامة.

حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة.

بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.

حسن الخلق سبب في القرب من الرسول ﷺ.

شهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه سبب في دخول الجنة.



الدعاء بطلب حسن الخلق.

ثالثًا: فضل وفوائد وثمرات المراقبة

من أقوال السلف الصالح في المراقبة:

الْمُرَاقَبَةُ تجعلُ المسلمَ يَصِلُ إلى درجة الإحسان.

المراقبة سبب في صلاح الأفراد والمجتمعات.

المراقبة تجعل الإنسان يحسن في عبادته.

مراقبة الله تقي الإنسان من الوقوع في المعصية أو الفاحشة.

نماذج مشرقة في سماء المراقبة:

مراقبة الله وقاية من الغش والمكر والخديعة.

مراقبة الله سبب لمغفرة الذنوب.

مراقبة الله تجعل الإنسان لا يدخل جوفه إلا الحلال.

مراقبة الله تفتح على الإنسان أبواب الرزق.

مراقبة الله سبب لتزكية النفس.

مراقبة الله تجعل الإنسان يؤدي ما عليه من الحقوق.

مراقبة الله سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

مراقبة الله سبب في تفريج الكروب.

مراقبة الله سبب أن يستظل العبد في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

مراقبة الله سبيل لدخول الجنة.



أولًا: فضل العفو والصفح [1]:

أولًا: فضل العفو والصفح من القرآنِ الكريمِ:

وردت آياتٌ كثيرةٌ في ذِكرِ العَفْوِ والصَّفحِ، والتَّرغيبِ فيهما، ومن هذه الآياتِ:

1- قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور:22).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " هذه الآيةُ نزلَت في الصِّدِّيقِ حينَ حَلَف ألَّا ينفَعَ مِسطَحَ بنَ أُثاثةَ بنافعة بعدما قال في عائشةَ ما قال، فلمَّا أنزل اللَّهُ براءةَ أمِّ المُؤمنينَ عائشةَ، وطابت النُّفوسُ المُؤمنةُ واستقَرَّت، وتاب اللَّهُ على من كان تكَلَّمَ من المُؤمنين في ذلك، وأقيم الحدُّ على من أقيمَ عليه؛ شَرَع تبارك وتعالى - وله الفضلُ والمنَّةُ- يُعَطِّفُ الصِّدِّيقَ على قريبِه ونَسيبِه، وهو مِسطَحُ بنُ أُثاثةَ؛ فإنَّه كان ابنَ خالةِ الصِّدِّيقِ، وكان مسكينًا لا مالَ له إلَّا ما يُنفِقُ عليه أبو بكرٍ ﷺ، وكان من المهاجِرين في سبيلِ اللَّه، وقد وَلَق [2] وَلْقةً تاب اللَّهُ عليه منها، وضُرِبَ الحَدَّ عليها. وكان الصِّدِّيقُ ﷺ معروفًا بالمعروف، له الفَضلُ والأيادي على الأقارِبِ والأجانِبِ. فلمَّا نزلت هذه الآيةُ إلى قولِه: أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أي: فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العَمَلِ، فكما تَغفِرُ عن المذنِبِ إليك نغفِرُ لك، وكما تصفَحُ نصفَحُ عنك. فعند ذلك قال الصِّدِّيقُ: بلى، واللَّهِ إنَّا نُحِبُّ- يا ربَّنا- أن تغفِرَ لنا! ثمَّ رجَع إلى مِسطَحٍ ما كان يَصِلُه من

1- استفدت كثيرًا من" موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية".

2- وَلَق: أي: كَذَب. (مقاييس اللغة لابن فارس:6/145) (تاج العروس للزبيدي:26/ 482).

النَّفقةِ، وقال: واللَّهِ لا أنزِعُها منه أبدًا، في مقابلةِ ما كان قال: واللَّهِ لا أنفَعُه بنافعة أبدًا؛ فلهذا كان الصِّدِّيقُ هو الصِّدِّيقَ ﷺ وعن بنتِه ". (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:**31/6**).

2- وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(**133**) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: **133، 134**).

بيَّن اللَّهُ سُبحانَه صفات المتَّقين الذين أعَدَّ لهم جَنَّته، وذَكَر منها صِفةَ العَفْو، فقال: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. ويدخُلُ في العَفْوِ عن النَّاسِ العَفْوُ عن كُلِّ مَن أساء إليك بقَولٍ أو فِعلٍ، والعَفْوُ أبلَغُ من الكَظْمِ؛ لأنَّ العَفْوَ تَركُ المؤاخَذةِ مع السَّماحةِ عن المُسيءِ، وهذا إنَّما يكونُ ممَّن تحلَّى بالأخلاقِ الجميلةِ، وتخلَّى عن الأخلاقِ الرَّذيلةِ، وممَّن تاجَر مع اللَّه، وعفا عن عبادِ اللَّهِ رحمةً بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهةً لحُصولِ الشَّرِّ عليهم، وليَعفوَ اللَّهُ عنه، ويكونَ أجرُه على ربِّه الكريمِ، لا على العبدِ الفقيرِ، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: **40**). (تيسير الكريم الرحمن ص: **148**).

3- وقال سُبحانَه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:**40**).

وقولُه تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فمَن عفا عمَّن أساء إليه إساءتَه إليه، فغفَرَها له ولم يعاقِبْه بها، وهو على عقوبتِه عليها قادرٌ؛ ابتغاءَ وَجهِ اللَّه، فأجرُ عَفوِه ذلك على اللَّهِ، واللَّهُ مُثيبُه عليه ثوابَه ". (جامع البيان للطبري:**21/ 548**).

قال السَّعديُّ-رحمه الله-: " وفي جَعلِ أجرِ العافي على اللَّه ما يُهَيِّجُ على العَفْوِ، وأن يعامِلَ العبدُ الخَلقَ بما يحِبُّ أن يعامِلَه اللَّهُ به، فكما يحِبُّ أن يعفوَ اللَّهُ عنه فلْيَعْفُ عنهم، وكما يحِبُّ أن يسامِحَه اللَّهُ فلْيُسامِحْهم؛ فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العَمَلِ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: **760**).



أمَّا قولُه: ﴿وأصْلَحَ﴾ فقيل: المرادُ: أصلَحَ بينه وبينَ خَصمه الذي ظلَمَه بالعَفْوِ، وقيل المرادُ: أصلَحَ في عَفوِه، أي: صار عَفوُه مُشتَمِلًا على الإصلاحِ. (الوسيط للواحدي:4/58) (تفسير ابن عثيمين – سورة الشورى).

4- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن: 14).

هذا تحذيرٌ من اللَّه للمُؤمنين من الاغترارِ بالأزواجِ والأولاد؛ فإنَّ بعضَهم عدوٌّ لكم، والعَدوُّ هو الذي يريدُ لك الشَّرَّ، ووظيفتُك الحَذَرُ ممَّن هذا وصفُه، والنَّفسُ مجبولةٌ على محبَّةِ الأزواجِ والأولادِ، فنصَح تعالى عبادَه أن توجبَ لهم هذه المحبَّةُ الانقيادَ لمطالِبِ الأزواجِ والأولادِ، ولو كان فيها ما فيها من المحذورِ الشَّرعيِّ، ورغَّبهم في امتثالِ أوامِره، وتقديمِ مَرضاته بما عندَه من الأجرِ العظيمِ المُشتَمِلِ على المطالِبِ العاليةِ والمحابِّ الغاليةِ، وأن يؤثروا الآخرةَ على الدُّنيا الفانيةِ المنقضيةِ، ولَمَّا كان النَّهيُ عن طاعةِ الأزواجِ والأولادِ فيما هو ضَرَرٌ على العبدِ، والتَّحذيرُ من ذلك، قد يُوهِمُ الغِلظةَ عليهم وعقابَهم؛ أمَر تعالى بالحَذَرِ منهم، والصَّفحِ عنهم والعَفْوِ؛ فإنَّ في ذلك من المصالِحِ ما لا يمكِنُ حَصرُه، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العَمَلِ. فمَن عفا عفا اللَّهُ عنه، ومَن صَفَح صَفَح اللَّهُ عنه، ومَن غفَر غفَر اللَّهُ له، ومَن عامَل اللَّهَ فيما يحِبُّ، وعامَل عِبادَه كما يُحِبُّون وينفَعُهم، نال محبَّةَ اللَّهِ ومحبَّةَ عبادِه، واستوثَقَ له أمرُه ". (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: 868).

5- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: 37).

قال ابنُ كثيرٍ–رحمه الله– في تفسيرِه لهذه الآيةِ: " أي: سَجيَّتُهم وخُلُقُهم وطَبْعُهم تقتضي الصَّفحَ والعَفْوَ عن النَّاسِ، ليس سجيَّتُهم الانتقامَ من النَّاسِ ". (تفسير القرآن العظيم 7/210).





6- وقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: 149).

في الآيةِ أنَّ الإحسانَ إلى النَّاسِ يكونُ إمَّا بإعطاءِ الخَيرِ ظاهِرًا أو خَفيًّا، وإمَّا بدَفعِ السُّوءِ، وذلك بالعَفْوِ عنهم؛ لقَولِه: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾؛ فالعَفْوُ عن السُّوءِ خَيرٌ، فيُستفادُ من ذلك فضيلةُ العَفْوِ عن السُّوءِ. (تفسير ابن عثيمين – سورة النساء).

وقد بيَّنت الآيةُ أنَّ فاعلي الخيراتِ جهرًا أو سرًّا، والعافينَ عن النَّاسِ الذين يُسيئون إليهم، يَجزيهم سُبحانَه وتعالى من جنسِ عَمَلِهم، فيعفو عن سَيِّئاتهم، ويُجزِلُ مثوبتَهم، وكان شأنُه العَفْوَ، وهو القديرُ الذي لا يُعجِزُه الثَّوابُ الكثيرُ على العَمَلِ القليلِ، وإذا عفا فإنَّما يعفو عن قُدرةٍ كاملة على العقاب؛ فصيغةُ المبالغة من القُدرة، وهي كَلِمةُ قَديرٍ، هي التي تدُلُّ على إجزالِ المثوبةِ وعلى التَّرغيبِ في العَفْوِ مع القدرة على المؤاخَذةِ، وإلَّا كان وَضعُها في هذا الموضِعِ غَيرَ متَّفِقٍ مع بلاغةِ القُرآن". (تفسير المنار:6/ 6).

7- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ[1] (34) وَمَا يُلَقَّاهَا[2] إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: 34)

يقول السعدي-رحمه الله-: "وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك

1- وليّ حميمٌ: صَديقٌ قريبٌ يَهتمّ لأمرك.

2- ما يلقـّـاها: ما يُؤتـى هذه الخصلة الشريفة.



مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين.

وإن هجرك، وترك خطابك، فَطِيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة. ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شفيق. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟". فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع للّه رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.





8- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ[1] بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ[2] (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ(23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:22-24)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: الذين صبروا على الأذى وعلى الطاعة، وعن المعصية طلبًا لرضا ربهم، وأدَّوا الصلاة على أتمِّ وجوهها، وأدَّوا من أموالهم زكاتهم المفروضة، والنفقات المستحبة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة فتمحوها، أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة في الآخرة. تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإنات، وتدخل الملائكة عليهم من كل باب؛ لتهنئتهم بدخول الجنة. تقول الملائكة لهم: سَلِمْتم من كل سوء بسبب صبركم على طاعة الله، فنِعْمَ عاقبة الدار الجنة.

9- وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ... ﴾ (المائدة:45)

قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: " مغفرة له عند الله وثواب عظيم ".

10- وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:199)

قال عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾: " أُمِرَ نبي الله ﷺ أن يأخذ العفوَ من أخلاق الناس". (أخرجه البخاري في التفسير)

1- يدرءون: يدفعون ويُجازون.

2- عقبى الدار: عاقبتها المحمودة، وهي الجنّات.



وقال الشنقيطي–رحمه الله–: " بيّن في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامَل به الجهلة من شياطين الإنس والجن، فبيّن أن شيطان الإنس يعامل باللين وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته. وأن شيطانَ الجن لا مَنجي منه إلا بالاستعاذة بالله منه (أضواء البيان:**435/1**).

11– وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحِجر:**85**)

12– وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ (النحل:**126**)

13– وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:**43**)

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وما سبق ففيه الكفاية.

ثانيًا: فضل العفو والصفح من السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

1– أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ: " ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ [1]، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعفْوٍ إلَّا عِزًّا [2]، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رفَعَهُ اللَّهُ [3]".

وفي الحديثِ: بيانُ فَضلِ العفوِ والصَّفحِ، وأنَّ مَن عُرِفَ بالعفوِ والصَّفحِ سادَ وعَظُمَ في قلوبِ النَّاسِ.

وفيه: بَيانُ فَضلِ التَّواضُعِ للهِ سُبحانَه وتعالَى.

1– ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ: ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني: أنه وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

2– وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعفْوٍ إلَّا عِزًّا: فيه أيضًا وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك. (قاله القاضي عياضٌ– رحمه الله–)

3 – وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رفَعَهُ اللَّهُ: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه الله فيها بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة.



وقَولُه ﷺ:" ما زاد اللَّهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا ". فيه وجهان: أحدُهما: ظاهِرُه أنَّ مَن عُرِف بالصَّفحِ والعفْوِ ساد وعَظُم في القُلوبِ وزاد عِزُّه. الثَّاني: أن يكونَ أجرُه على ذلك في الآخرةِ، وعِزَّتُه هناك ". (إكمال المعلم: 8/28).

- *وأخرج الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " ثلاثةٌ أقسِمُ عليهنَّ[1] وأحدِّثُكم حديثًا فاحفظوهُ قالَ:" ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظلمَ عبدٌ مظلمةً فصبرَ عليْها، إلَّا زادَهُ اللَّهُ عزًّا[2]، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ[3]، إلَّا فتحَ اللَّهُ عليْهِ بابَ فقرٍ[4]..." . (صحيح الترمذي: 2325) (صحيح الجامع:3024

- *وأخرجه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " ثلاثٌ أُقسِمُ عليهِنَّ: ما نقَصَ مالٌ قطُّ من صدقة، فتصدَّقُوا، ولا عَفَا رجلٌ عن مَظلمةٍ ظُلِمَها إلا زادَهُ اللهُ تعالَى بِها عِزًّا، فاعفُوا يزِدْكمُ اللهُ عِزًّا، ولا فتَحَ رجلٌ على نفسِه بابَ مَسألةٍ يَسألُ الناسَ إلا فتَحَ اللهُ عليه بابَ فقْرٍ ". (صحيح الجامع: 3025) (صحيح الترغيب والترهيب:2462)

- *وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّ اللهَ تعالى عفوٌّ يُحِبُّ العَفوَ". (صحيح الجامع: 1779)

1- ثلاثةٌ أُقسِمُ عَليهِنَّ: أي أحلِفُ عليهِنَّ، والمرادُ: أنَّه ﷺ وهو الصَّادقُ المصدوقُ، يُخبِرُ عن ثلاثة أمورٍ يُؤكِّدُهنَّ بالقسَمِ؛ وذلك بيانٌ لأهمِّيتهنَّ والحِرصِ علَيهِنَّ، ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ:" وأُحَدِّثُكم حَديثًا فاحفَظوه"، وهذا لِمَزيدِ التأكيدِ على أهمِّيَّة ما يَقولُ، وقيل: بل هو إخبارٌ عن أهمِّيَّة حديث آخَرَ غيرِ الَّذي يُقْسِمُ عليه.

2- زادَه اللهُ عزًّا: أي كانَ جزاؤُه أن يَزيدَه اللهُ بهذا العفوِ والصَّبرِ عزًّا وشرَفًا، ومكانةً عاليةً.

3- ولا فتَح عبدٌ بابَ مسألَة: بأن يَمُدَّ يدَه، ويسألَ النَّاسَ لِيَستكثِرَ من أموالِهم في غيرِ حاجةٍ أو ضرورةٍ.

4- إلَّا فتَح اللهُ عليه بابَ فقرٍ: أي: إنَّ اللهَ تعالى يَفتَحُ عليه بابَ احتياجٍ، أو يَسلُبُ منه ما أنعَم به عليه.



- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بن مالكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال:* " إنَّ الأنصارَ كَرِشي وعَيْبتي[1]، وإنَّ النَّاسَ سيَكثُرون ويَقِلُّون، فاقبَلوا من محسِنهم، واعفُوا عن مُسيئِهم ".

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال:* " أنَّ رَجُلًا قال: يا رَسُولَ اللهِ! إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ ويَقْطَعُوني، وأُحْسِنُ إليهِم ويُسِيؤُونَ إلَيَّ، وأَحْلُمُ عنْهمْ ويَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقالَ: لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فَكَأنَّما تُسِفُّهُمُ[2] المَلَّ[3] ولَا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عليهم[4] ما دُمْتَ علَى ذلكَ ".

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيس ﷺ:* " إن فيك خَصلتين يُحِبُّهما الله: الحِلمُ، والأناة ".

قَالَ الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- في" شرح رياض الصالحين:3/ 576": " وقول النبي ﷺ:" إن فيك خَصلتين يحبُّهما الله: الحِلم، والأناة". والحِلم: عندما يثار الإنسان ويُجنى عليه ويُعتدى عليه يحلُم، لكنه ليس كالحمار لا يبالي بما فُعِل به، يتأثر لكن يكون حليمًا لا يتعجل بالعقوبة، حتى إذا صارت العقوبة خيرًا من العفو أخَذَ بالعقوبة. والأناة: التأني في الأمور وعدم التسرع، وما أكثرَ ما يَهلِكُ الإنسانُ ويَزِلُّ بسبب التعجل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك.

1- كَرِشي وعَيْبتي: أي: جماعتي وخاصَّتي الذين أثِقُ بهم وأعتَمِدُهم في أموري، وضَرَب مَثَلًا بالكَرِش؛ لأنَّه مُستقَرُّ غذاءِ الحيوان الذي يكونُ به بقاؤه، والعَيبةُ وِعاءٌ معَروفٌ يَحفظُ الإنسانُ فيها ثيابَه وفاخِرَ متاعِه، ويصونُها، ضرَبَها مثلًا لأنَّهم أهلُ سِرِّه وخَفيِّ أحوالِه.

(أعلام الحديث للخطابي:3/

1644) (شرح النووي على مسلم: 16/ 68).

2- فكأنَّما تُسفُّهُم: أي: تُطعمُهم في أفواههم.

3- المَلَّ: الرَّمادُ الحارُّ، وهو تَشبيهٌ لما يَلحقُهم من الإثم بما يَلحَقُ آكِلَ الرَّمادِ الحارِّ من الألَمِ، وقيل: معناه: إنَّك بالإحسان إليهم تُخزيهم وتُحقِّرُهم في أنفسهم لكثرة إحسانكَ وقَبيحِ فعلهم.

4- ولا يَزالُ معكَ مِنَ عند اللهِ ظَهيرٌ عليهم: أي مُعينٌ لكَ عليهم ودَافِعٌ عنكَ أذاهم مَا دُمْتَ على ما ذَكرْتَ مِن إحسانكَ إليهم وظَلُّوا هُم على إساءتِهم إليكَ.

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث زارع بن عامر بن عبد القيس العبدي قال: **لما قدمنا المدينةَ، فجعلْنا نتبادرُ من رواحِلنا[1]، فنقبِّل يدَ النبيِّ ﷺ ورجلَه، وانتظر المنذر الأشج[2] حتى أتى عيبته[3] فلبس ثوبيه[4] ثم أتى النبي ﷺ فقال له إن فيك خلتين[5] يحبهما الله الحلم[6] والأناة[7]. قال: يا رسول الله! أنا أتخلق بهما[8] أم الله جبلني عليهما[9]؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله** ". (صحيح أبي داود: **5225**– دون ذكر الرجلين)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث عبدِ اللَّه بن عِمَرو– رَضِيَ اللَّهُ عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" **تعافُّوا الحُدُودَ فِيما بَينَكُم [10]، فما بَلغَني [11] مِن حدٍّ فقدْ وجَبَ [12]** " (صحيح أبي داود: **4376**) (صحيح الجامع: **2954**)

1– لَمَّا قَدِمْنا المدينةَ، فجعَلْنا نَتبادَرُ مِنْ رَواحِلِنا: أي: لَمَّا جِئْنا إلى المدينةِ مُسْلمينَ، وصَلْنا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ نَتسارَعُ في النُّزولِ عن رِكابِنا من الإبلِ وغيرِها؛ لِيَسْبِقَ بعضُنا بعضًا.

2– وانْتظَرَ المُنْذِرُ الأَشَجُّ: أي: لَمْ يُسارِعْ كالَّذين سارَعوا إلى النَّبيِّ ﷺ، وكان على رأسِ وَفْدِ عبدِ قيسٍ ومُقدِّمتِهم.

3– حتَّى أتى عَيْبَتَه: أي: مُستودَعَ ثيابِه.

4– فلَبِس ثوبيه: أي: مُسْتحسنًا لأحسنِ ثيابِه وقيل: كانتْ بِيضًا.

5– إنَّ فيكَ خُلَّتَيْنِ: أي خَصْلَتَيْنِ.

6– الحِلْمُ: العَقْلُ.

7– الأَناةُ: التَّرفُّقُ وعَدَمُ التَّعجُّلِ.

8– أنا أَتخلَّقُ بهما: أي أَكْتَسِبُهما في حياتي.

9– أَمِ اللهُ جَبَلَني عليهما: أي جَعَلَهُما اللهُ فيَّ دونَ اكْتسابٍ لهما وتَعوُّدٍ عليهما.

10– تَعافوا الحُدودَ فيما بيْنكم: أي تَجاوزوا عنها، فلا ترْفَعوها إليَّ للتَّقاضِي.

11– فمَا بلَغَني: أي: وصَلَ إليَّ.

12– مِن حدٍّ فقدْ وجَبَ: أي لازِمٌ عليَّ إقامتُه.

- *وأخرج أبو داود والترمذي من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عنهما- قال:* جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ! كم نعفو عن الخادِمِ؟ فصَمَت، ثمَّ أعاد عليه الكلامَ، فصَمَت، فلمَّا كان في الثَّالثةِ قال: اعفوا عنه في كُلِّ يومٍ سَبعينَ مَرَّةً ". (صحيح الترمذي:**2031**) (صحيح أبي داود: **5164**)

وفي هذا الحَديثِ يَحكي ابنُ عُمرَ- رضِي اللهُ عنهما- أنَّه: "جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! كَم نعفُو عن الخادِمِ"، أي: كم مرَّةً عند ارتِكابه فعْلًا خاطئًا أو أمرًا خلافَ الَّذي نأمُره؟ "فصمَتَ" أي: فسكَتَ النَّبيُّ ﷺ ولم يُجبْه، قيل: إنَّ صَمْتَه ﷺ إجابةٌ؛ لأنَّ العفْوَ أمرٌ مقَرَّرٌ شرْعًا؛ فلا حاجَةَ للسُّؤالِ عنْه، وقيل: كان مُنتظِرًا للوَحْيِ في تلك المَسألَة،" ثمَّ أعادَ" أي: السَّائلُ "عليه" أي: على النبيِّ ﷺ" الكلامَ" أي: هذا السؤال،" فصَمَتَ، فلمَّا كان في الثَّالثَةِ" أي: لَمَّا أعادَ عليه الرجُلُ السُّؤالَ للمَرَّة الثالثة، أجابَه النَّبيُّ ﷺ، فقال:" اعفُوا عنه في كلِّ يَومٍ سَبعينَ مرَّةً"، وهذا العددُ للكثرة لا لبُلوغِ مُنتهَى العدد، وهذا كنايةٌ عن العفوِ الدَّائمِ عن الخادمِ، مع إرشاده إلى الصَّواب وتأديبه، وهذا من رَحمته ورِفقه ﷺ بأُمَّته. وفي الحَديث: الحَثُّ على العفْوِ عن الخطَأِ والزَّلَلِ في الأُمورِ الَّتي لا تَنْدرِجُ تحتَ المَناهي الشَّرعيَّة. (الدرر السنية)

- *وأخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" والطبراني من حديث عبد اللَّه بن عَمَرو- رَضِيَ اللَّهُ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*" ارْحَموا تُرحَمُوا، واغْفِرُوا يُغفَرْ لكُمْ... ". (صحيح الجامع: **897**) (السلسلة الصحيحة: **482**)

وقوله ﷺ:" ارْحَموا تُرْحَموا"، أي: تَخلَّقوا بخُلُق الرَّحمة بينكم مع الكَبيرِ والصَّغير، والحُرِّ والعبدِ وحتى مع الخادمِ بل حتَّى مع الحَيوان؛ فيَرْحَمُكم اللهُ عزَّ وجلَّ في الدُّنيا والآخِرَة، "واغْفِروا يُغْفرْ لكم"، أي: وكذلك الشَّأْنُ في التخلُّق بخُلُق المَغْفِرَة والصَّفْحِ جَزاؤُه مغفرةُ اللهِ لعبادِه في الدُّنيا والآخِرَة؛ وذلك أنَّ اللهَ سُبحانَه يُحبُّ أسماءَه وصِفاتِه -التي منها الرَّحمةُ والغُفران- ويحبُّ مِن خَلْقه مَن تَخلَّقَ بها.





- *وأخرج والترمذي وابن حبان والطبراني من حديث عبد ِاللَّه ِبن ِمسعود ﷺ قال: قال رسول ِالله ﷺ:*

" حَرُم على النارِ كلُّ هيِّنٍ[1]، لينٍ، سهلٍ[2]، قريبٍ من الناسِ ". (صحيح الجامع:2609)

- *وفي رواية:* " أَلَا أُخبِرُكم بمَن يَحرُمُ على النَّارِ[3]، وبمَن تَحرُمُ عليه النَّارُ[4]؟ على كلِّ قريبٍ، هيِّنٍ، سهْلٍ ". (رواه الترمذي)

- *وفي رواية:* " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ ". (رواه الترمذي)

- *وأخرج البخاري من حديث عَطاء بن يَسارٍ قال:* لَقِيتُ عَبْدَ اللَّه بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ- رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا- قُلت: أخبِرْني عن صِفَةِ رَسولِ اللَّه ﷺ في التَّوْرَاة، قالَ: أجَلْ؛ واللَّه إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاة ببَعْضِ صِفَتِه في القُرْآنِ: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرْسَلْنَاك شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45)، وحِرْزًا للأُمِّيِّينَ، أنْتَ عَبْدِي ورَسولِي، سَمَّيْتُك المتَوكِّلَ، ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ، ولَا سَخَّابٍ في الأسْوَاقِ، ولَا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويَفْتَحُ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا ".

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بنِ مالك ﷺ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال:* " كُنْتُ أمْشِي مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ وعليه بُرْدٌ[5] نَجْرانِيٌّ[6] غَلِيظُ الحَاشِيَةِ[7]، فأدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ[8]، فَجَبَذَهُ

1- هَيِّن: أي: يتّصفُ بالسُّكون والوَقار، واللِّين في تصرُّفاته مع النّاسِ.
2- سَهْلٍ: أي: سَهْلِ المُعامَلة والخُلُق، مُيسِّرٍ على النَّاس.
3- أَلَا أُخْبِرُكُمْ "بمَنْ يَحرُمُ على النَّار"، أي: يُمْنَعُ ويُحْجَزُ عن دُخولها، فيُعافى منها.
4- وبِمَنْ تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟: أي: تُصْبِحُ النَّارُ مُحرَّمةً عليه فلا يَدْخُلُها، هي مِنْ بابِ التَّأكيدِ، فهي كالجُمْلةِ السَّابِقةِ.
5- البُرْدُ: نَوعٌ من الثِّياب.
6- النَّجْرانِيُّ: نِسبَة إلى نَجْرانَ مدينة باليمن.
7- غَلِيظُ الحاشية: أي غليظُ الجانب.
8- أعرابِيٌّ: هو العَرَبيُّ الذي يَسكُنُ الصَّحْراءَ.





بِردَائه جَبْذَةً شَديدَةً، حتَّى نَظَرْتُ إلى صَفْحَة عَاتِقِ رَسولِ اللَّه ﷺ قدْ أَثَّرت بِهَا حَاشِيَةُ البُرْد من شِدَّة جَبْذَتِه، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِن مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ، فَالْتَفتَ إلَيْه رَسولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أمَرَ له بعطَاءٍ ".

وفي الحَديث: كمالُ خُلُق رَسولِ الله ﷺ وحِلْمه وصَفْحه الجَميلِ. وفيه أيضًا: الحَثُّ على احتِمالِ الجاهِلينَ، والإعراضُ عن مقابَلَتِهم، ودَفْعُ السَّيِّئة بالحَسَنة.

- *وأخرج البخاري من حديث جَابِرِ بن عبد اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهمَا- أَخْبَرَ:* أنَّهُ غَزَا مع رَسولِ اللَّه ﷺ قِبَلَ نَجدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ معهُ، فأدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ العضَاه[1]، فنَزَلَ رَسولُ اللَّه ﷺ وتَفَرَّق النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسولُ اللَّه ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وعَلَّقَ بهَا سَيْفَهُ، ونِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسولُ اللَّه ﷺ يَدْعُونَا، وإذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ[2]، فَقالَ: إنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وهو في يَدِهِ صَلْتًا[3]، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلتُ: اللَّهُ، (ثَلَاثًا) ولَمْ يُعَاقِبْهُ وجَلَسَ.

- *وفي رواية:* " فها هو ذا جالس"، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " فمنَّ عليه لشدَّة رغبة النبي ﷺ في استئلاف الكّفار ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤخَذ بما صنع، بل عفا عنه، وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه، فاهتدى به خَلْق كثير". (فتح الباري:9/ ٥٤٤)

1- كل شجر يَعْظُم له شوك.

2- اسمُه غَوْرَثُ بنُ الحارِثِ.

3- أي: مُجَرَّدًا من غمده.





- *وأخرج الترمذي من حديث أبي عبد الله الجَدليِّ قال:* سألْتُ عائشةَ-رضِيَ اللَّهُ عنها- عَن خلقِ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَت: لم يَكُن فاحِشًا[2]، ولا مُتفحِّشًا[3]، ولا صخَّابًا في الأسواقِ[4]، ولا يَجزي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولَكِن يَعفو ويَصفحُ[5] ". (صحيح الترمذي: **2016**)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال:* "كَأَنِّي أنْظُرُ إلى النَّبيِّ ﷺ يَحْكي نَبيًّا مِنَ الأنْبِياءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ".

وفي هَذا الحديثِ يُخبِرُ عبْدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ ﷺ أنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ وهو يَصِفُ حالَ نَبيٍّ من الأنبياءِ، وقدْ " ضَرَبَه قومُه" حتَّى سالَ منه الدَّمُ من ضَرْبِهم، فأخَذَ يَمسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِه ويَقولُ:" اللَّهُمَّ اغفِرْ لِقَومي"، يَطلُبُ من اللهِ عزَّ وجلَّ العفْوَ والصَّفحَ عنهم، وعدَمَ مُؤاخَذتِهم بفِعلِهم، وأضافَهُم إليه" قَومي" شَفَقةً ورَحمةً بهم، ثُمَّ اعتَذَرَ عنهم بجَهْلِهم، فقال:" فهمْ لا يَعلَمون"، وهذا من رَأفةِ النَّبيِّ على قَومِه وحُبِّ الخيرِ لهم، وخَشيةً من العَقابِ وحُلولِ العَذابِ عليهم جَزاءً لتَعذيبِهم وإيذائِهم نبيًّا من أنبياءِ اللهِ. وقدْ وقَعَ لنَبيِّنا ﷺ مثلُ هذا في غَزوةِ أُحدٍ، وقيل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ في هذا الحديثِ هو الحاكي والمَحْكيُّ عنه، وكأنَّه أُوحِيَ إليه بذلك قبْلَ غَزوةِ أُحدٍ ولم يُعيَّنْ له ذلك، فحَكاهُ ﷺ لأصحابِه، فلمَّا وقَعَ تَعيَّنَ أنَّه المَعنيُّ بذلك.

1- الخُلقُ: مَلَكةٌ تصدُرُ بها الأفعالُ بسُهولة من غير تنكُّرٍ ولا تكلُّف.

2- لم يكُنْ فاحِشًا: الفُحْشُ: القُبْحُ، وكلُّ سُوءٍ جاوز حدَّه فهو فاحِشٌ، أي: لم يكُنْ مُتكلِّمًا بالقَبيحِ أصلًا ولم يكُنْ في طَبْعِه.

3- ولا مُتفحِّشًا: أي: بالتَّكلُّف، أي لم يكُنْ فيه الفُحْشُ؛ لا ذاتيًّا ولا عرَضًا.

4- ولا صخَّابًا في الأسواق: أي لم يكُنْ صيَّاحًا يرفَعُ صوتَه في الأسواق.

5- ولا يَجْزي بالسَّيِّئة السَّيِّئةَ، ولكنْ يَعْفو ويَصفَحُ: أي: يُعْرِضُ عن صاحبِ السَّيئة، بلْ ويَعْفو عنه؛ لقولِه تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

(المائدة:**13**)





- وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبيهقي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما من رجلٍ يُجرحُ في جسدِه جراحةٌ، فيتصدَّق بها؛ إلا كفَّر اللهُ تبارك وتعالى عنه مثلَ ما تصدَّق به" (صحيح الترغيب: 2460) (صحيح الجامع:5712)

- وأخرج الإمام أحمد ﷺ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَتَرَكَهُ لِلَّهِ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب:2461)

- العَفْوُ عن النَّاسِ سَبَبٌ في نَيلِ عفوِ اللَّهِ؛ فالجزاءُ مِن جنسِ العمَلِ:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حُذَيفَةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: " إنَّ رجلًا كان فيمن كان قبلَكم، أتاه المَلَكُ ليَقبِضَ رُوحَه، فقيل له: هل عَمِلتَ من خيرٍ؟ قال: ما أعلَمُ، قيل له: انظُرْ، قال: ما أعلَمُ شيئًا غيرَ أنِّي كنتُ أبايِعُ النَّاسَ في الدُّنيا وأجازيهم، فأُنظِرُ الموسِرَ، وأتجاوَزُ عن المُعسِرِ[1]؛ فأدخَلَه اللهُ الجَنَّةَ ".

- وأخرج الطبراني في" الكبير" من حديث جرير بن عبد الله ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: " مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، ومَن لا يَغفِرْ لا يُغْفَرْ له، ومَن لا يَتُبْ لا يُتَبْ عليه ". (صحيح الجامع: 6600)

وقوله ﷺ: " ومَن لا يَغفِرْ" أي لِغَيرِه زلَّاتِه وخُصوماتِه،" لا يُغفَرْ له" فلا يَستحِقَّ أنْ يَغفِرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذَنْبَه.

- وأخرج البخاري من حديث جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قام يومَ مات المغيرةُ بنُ شُعبةَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: عليكم باتِّقاءِ اللهِ وَحْدَه لا شريكَ له، والوَقارِ، والسَّكينةِ، حتى يأتيَكم أميرٌ، فإنَّما يأتيكم الآنَ. ثمَّ قال: استعْفوا لأميرِكم؛ فإنَّه كان يحِبُّ العَفوَ، ثمَّ قال: أمَّا

1- وقولُه ﷺ:" وأتجاوَزُ عن المُعسِرِ": أي أعفو عن الفقيرِ، وأُبرِئُ ذِمَّتَه عن الدَّينِ كُلِّه أو بعضِه. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري:5/ 1908).



بَعدُ؛ فإنِّي أتيتُ النَّبيَّ ﷺ قُلتُ: أبايِعُك على الإسلامِ، فشَرَط عليَّ: والنُّصحِ لكُلِّ مُسلِمٍ فبايَعْته على هذا، ورَبِّ هذا المسجِدِ إنِّي لناصِحٌ لكم، ثمَّ استغفَرَ ونَزَل ".

وقولُه:" استَعْفوا لأميرِكم" أي: اطلُبوا له العَفْوَ من اللَّهِ، وقولُه:" فإنَّه كان يحِبُّ العَفْوَ" فيه إشارةٌ إلى أنَّ الجزاءَ يَقَعُ من جِنسِ العَمَلِ. (فتح الباري لابن حجر: **1/ 139**).



ثالثًا: فضل العفو والصفح من أقوالِ وأفعال السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

1- قال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ: " أفضَلُ العفْوِ عِندَ القُدرةِ ". (بهجة المجالس لابن عبد البر: **1/ 370**).

- *وقال ابن عباسٍ -رضي اللَّه عنهما-*: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ﷺ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ ﷺ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (الأعراف: **199**)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ". (رواه البخاري)

2- *وقيل لأبي الدَّرداءِ ﷺ*: مَن أعَزُّ النَّاسِ؟ فقال:" الذين يعفون إذا قَدَروا؛ فاعفُوا يُعِزَّكم اللَّهُ تعالى ". (نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: **6/58**).

- *وجاء في كتاب بذل المعروف ص: 289*": أن رجلًا أسمع أبا الدرداء ﷺ كلامًا، فقال له: يا هذا! لا تُغرقن في سبِّنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ".

3- *وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ*: " إذا قدَرْتَ على عَدُوِّك فاجعَلِ العَفْوَ عنه شُكْرَ المقدرةِ عليه ". (المجتنى لابن دريد ص: **20**) (محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: **1/ 282**)





- *وقال عليٌّ ﷺ أيضًا:* " إنِّي لأستحي من اللَّهِ أن يكونَ ذَنبٌ أعظَمَ مِن عَفوي، أو جَهلٌ أعظَمَ مِن حِلمي، أو عورةٌ لا يواريها سِتري، أو خَلَّةٌ لا يَسُدُّها جُودي ". (تاريخ بغداد للخطيب: **2/ 259**).

4- *جلس عبد الله بن مسعود ﷺ في السوق يبتاع طعامًا،* فابتاع ثم طلب الدراهم، وكانت في عمامته فوجدها قد حُلَّتْ، فجعل الناس يدعون على من أخذها، ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله ﷺ: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجةٌ، فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه ". (إحياء علو الدين: **196/3**)

5- *وقال مُعاويةُ ﷺ:* " عليكم بالحِلمِ والاحتمالِ حتَّى تمكنَكم الفُرصةُ، فإذا أمكَنَتْكم فعليكم بالصَّفحِ والإفضالِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي: **184/3**).

- *وقال مُعاويةُ أيضًا:* " إني لأرفَعُ نفسي من أن يكونَ ذَنبٌ أعظَمَ مِن عَفوي، وجَهلٌ أكثَرَ من حِلمي، أو عَورةٌ لا أواريها بستِري، أو إساءةٌ أكثَرَ مِن إحساني ". (تاريخ الرسل والملوك للطبري: **5/ 335**)

6- *وقال ابنُ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عنهما-:* " ما عفا رجُلٌ عن مَظلَمةٍ إلَّا زاده اللَّهُ بها عِزًّا ". (إحياء علوم الدين للغزالي: **2/ 195**).



7- *وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ –رحمه الله–:* " أحَبُّ الأمورِ إلى اللَّهِ ثلاثةٌ: العَفْوُ في القُدرةِ، والقَصدُ في الجِدَةِ، والرِّفقُ في العِبادةِ، وما رَفَق أحدٌ بأحَدٍ في الدُّنيا إلَّا رَفَق اللَّهُ به يومَ القيامةِ ". (رواه ابنُ حبان في روضة العقلاء ص: **167**).

8- *وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ –رحمه الله–:* " ما من شيءٍ إلَّا واللَّهُ يُحِبُّ أن يُعفى عنه ما لم يكُنْ حَدًّا ". (رواه مالك).

9- *وقال الحَسَنُ–رحمه الله–:* " أفضَلُ أخلاقِ المُؤمِنِ العَفْوُ ". (رواه الخلال كما في الآداب الشرعية لابن مُفلِح: **71/1**).

10- *وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ–رحمه الله–:* " إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا، فقُلْ: يا أخي! اعْفُ عنه؛ فإنَّ العَفْوَ أقرَبُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتَمِلُ قلبي العَفْوَ، ولكِنْ أنتَصِرُ كما أمَرني اللَّهُ عزَّ وجَلَّ فقُلْ له: إنْ كُنتَ تحسِنُ أن تنتَصِرَ، وإلَّا فارجِعْ إلى بابِ العَفْوِ فإنَّه بابٌ واسِعٌ؛ فإنَّه من عفا وأصلَح فأجرُه على اللَّهِ، وصاحِبُ العَفْوِ ينامُ على فِراشِه باللَّيلِ، وصاحِبُ الانتِصارِ يُقَلِّبُ الأمورَ ". (رواه ابنُ أبي حاتم في التفسير: **18985**) (وأبو نعيم في حلية الأولياء: **112/8**).

11- *وقال إبراهيمُ النَّخَعيُّ–رحمه الله–:* " كانوا يَكرَهون للمُؤمِنين أن يَستَذِلُّوا، وكانوا إذا قَدروا عفَوا ". (رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم ورواه موصولًا ابن أبي حاتم في التفسير: **18983**).

12- *وقال سعيد بن مسروق:* أصاب الربيعَ بنَ خثيم حجرٌ في رأسه فشجّه، فجعل يمسحُ الدمَ عن رأسه وهو يقول: اللهم اغفر له، فإنه لم يتعمدني". (الجامع لشعب الإيمان: **14**/ ٢٤٨).



13- وقال أُّيوبَ-رحمه الله-: " لا يَنبُلُ الرَّجُلُ حتَّى يكونَ فيه خَصلتانِ: العِفَّةُ عمَّا في أيدي النَّاسِ، والتَّجاوُزُ عنهم ". (رواه ابنُ حبان في روضة العقلاء ص: **167**).

14- وقال الفُضَيلُ-رحمه الله-: " الفُتُوَّةُ العَفْوُ عن زلَّاتِ الإخوانِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي:**2/ 177**).

15- وقال المنصورُ للمَهديِّ-رحمه الله-: " استَدِمِ النِّعمةَ بالشُّكرِ، والطَّاعةَ بالتَّألُّفِ، والمَقدِرةَ بالعَفْوِ، والنَّصرَ بالتَّواضُعِ، والرَّحمةَ للنَّاسِ ". (المجتنى لابن دريد ص: **41**).

16- قيل للأحنَفِ-رحمه الله-: ما الإنسانيَّةُ؟ قال:" التَّواضُعُ عِندَ الرِّفعةِ، والعَفْوُ عِندَ القُدرةِ، والعَطاءُ بغيرِ منَّةٍ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:**4/ 369**).

17- وقال أكثَمُ بنُ صَيفيٍّ-رحمه الله-: " خَيرُ السَّخاءِ ما وافَق الحاجةَ، ومَن عَرَف قَدْرَه لم يَهلِكْ، ومن صَبَر ظَفِر، وأكرَمُ أخلاقِ الرِّجالِ العَفْوُ ". (الأمالي لأبي علي القالي:**2/ 172**).

18- وقال قتادةُ-رحمه الله-:" أفضَلُ النَّاسِ أعظَمُهم عن النَّاسِ عفوًا، وأفسَحُهم له صدرًا ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:**8/ 54**).

19- وعَهِد مَلِكٌ إلى ابنه فقال: يا بُنَيَّ! إنَّ اللَّهَ لم يَرْضَ لنَفسِه من عبادِه إلَّا مِثلَ ما رَضِيَ لهم منه؛ فإنَّه رحِمَهم وأمَرَهم بالتَّراحُمِ، وصَدَقَهم وأمَرَهم بالصِّدقِ، وجاد عليهم وأمَرَهم بالجُودِ، وعفا عنهم وأمَرَهم بالعَفْوِ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:**2/ 246**).





20- وقيل للمُهَلَّبِ بنِ أبي صُفرةَ-رحمه الله-: ما تقولُ في العَفْوِ والعقوبةِ؟ قال: هما بمنزلةِ الجُودِ والبُخلِ، فتمَسَّكْ بأيِّهما شئتَ ". (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: **349**).

21- وقال العزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه الله-:" عليك بالعَفْوِ عن كُلِّ مَن جنى عليك، أو أساء إليك؛ فإنَّ اللَّهَ يحِبُّ العافينَ ". (شجرة المعارف والأحوال ص: **40**).

22- قال إبراهيم التيمي -رحمه الله-:" إن الرجل ليظلمني فأرحمه، قيل: كيف ترحمه، وهو يظلمك؟! قال: إنه لا يدري لسخط من يتعرض ". (كتاب الحدائق لابن الجوزي:**477/2**)

23- وقال أبو عُبَيدِ اللَّهِ الوَزيرِ-رحمه الله-:" سمِعتُ أبا جعفرٍ أميرَ المُؤمنين المنصورَ يقولُ لابنِه المَهديِّ أميرِ المُؤمنين:" يا أبا عبدِ اللَّهِ! إذا أرَدْتَ أمرًا ففكِّرْ فيه؛ فإنَّ فِكرةَ العاقِلِ مِرآتُه تُرِيه حَسَنَه وسَيِّئَه، يا أبا عبدِ اللَّهِ! الخليفةُ لا يُصلِحُه إلَّا التَّقوى، والسُّلطانُ لا يُصلِحُه إلَّا الطَّاعةُ، والرَّعيَّةُ لا يُصلِحُها إلَّا العَدلُ، وأعظَمُ النَّاسِ عَفوًا أقدَرُهم على العقوبةِ، وأنقَصُ النَّاسِ عَقلًا مَن ظَلَم مَن هو دونَه". (شعب الإيمان للبيهقي:**10/ 16**)، (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:**11/ 247**).

24- أُتِيَ عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة:" ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحبُّ من الظفر، فأعط الله ما يحبُّ من العفو، فعفا عنهم ". (إحياء علوم الدين:**196/3**)

25- وقال مالك بن دينار-رحمه الله-:" أتينا مَنزِلَ الحكم بن أيوب الثقفي- ابن عم الحجاج بن يوسف- ليلًا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن وهو خائف وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك، وأنكروا تولية الحجاج عليهم، وبايعوا عبد الرحمن بن



الأشعث- فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفَرَايج[1]، فذكر الحسن للأمير قصة يوسف -عليه السلام- وما صنع به إخوته، فقالوا: باعوا أخاهم، وذكر ما لقي من كيد النساء، ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟ أدَاله منهم ورفع ذِكْرَه، وأعْلَى كَلِمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله وحضروا بين يديه؟ قَالَ:﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:92) يُعرِّض الحسنُ للحكَم بالعَفْوِ عن أصحابه – من القُرَّاء إذ كان فيهم من مالأ مع ابن الأشعث، قال الحكم: فأنا أقول:" لا تثريب عليكم اليوم ولَوْ لَمْ أَجِدُ إِلَّا ثوبي هذا لواريتكم تَحْتَهُ[2]". (إتحاف السادة المتقين:9/466) (نضرة النعيم:7/٢٩٠٩).

26- وقال الجاحظُ-رحمه الله-:" أنظَرُ النَّاسِ في العاقبةِ مَن لَطَف حتَّى كَفَّ حَربَ عَدُوِّه بالصَّفحِ والتَّجاوُزِ، واستَلَّ حِقدَه بالرِّفقِ والتَّحَبُّبِ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:4/ 326).

27- وقال أبو حاتمٍ ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:" الواجِبُ على العاقِلِ توطينُ النَّفسِ على لُزومِ العَفْوِ عن النَّاسِ كافَّةً، وتَرْكُ الخُروجِ لمجازاةِ الإساءةِ؛ إذ لا سَبَبَ لتسكينِ الإساءةِ أحسَنُ من الإحسانِ، ولا سَبَبَ لنَماءِ الإساءةِ وتَهييجها أشَدُّ من الاستِعمال بمِثْلِها ". (روضة العقلاء ص: 166).

- وقال أيضًا:" من أراد الثَّوابَ الجَزيلَ، واستِرهانَ الوُدِّ الأصيلِ، وتوقُّعَ الذِّكرِ الجميلِ، فليتحَمَّلْ من وُرودِ ثِقلِ الرَّدى، ويتجَرَّعْ مرارةَ مخالفة الهوى، باستعمالِ السُّنَّة التي ذكَرْناها في الصِّلة عِندَ القَطعِ، والإعطاءِ عِندَ المنعِ، والحِلمِ عِندَ الجَهلِ، والعَفْوِ عِندَ الظُّلمِ؛ لأنَّه من أفضَلِ أخلاقِ أهلِ الدِّينِ والدُّنيا ". (المصدر السابق).

1- صغار الدجاج.

2- أي: لسترتكم به.





- وقال أيضًا:" الواجِبُ على العاقِلِ لُزومُ الصَّفحِ عِندَ وُرودِ الإساءة عليه من العالَمِ بأسْرِهم؛ رجاءَ عَفوِ اللَّه جَلَّ وعلا عن جناياتِه التي ارتكَبَها في سالِفِ أيَّامِه؛ لأنَّ صاحِبَ الصَّفحِ إنَّما يتكَلَّفُ الصَّفحَ بإيثارِه الجزاءَ، وصاحِبُ العِقابِ وإن انتَقَم كان إلى النَّدَمِ أقرَبَ، فأمَّا مَن له أخٌ يَوَدُّه، فإنَّه يحتَمِلُ عنه الدَّهرَ كُلَّه زلَّاته ". (المصدر السابق ص: 168).

28- قال البيهقي-رحمه الله-:" وأما مُكافأة المسيء بإساءته بما يجوز في الشرع؛ فعليها جِبِلَّة أكثر الخلق، والذي استحبَّه أولو الأحلام والنُّهَى من مكارم الأخلاق: التجاوز والعفو". (الجامع لشعب الإيمان:16/١١٦)

29- وقال صالح بن الإمام أحمد-رحمه الله-:" دخلتُ على أبي يومًا فقلتُ: بلغني أنَّ رجلًا جاء إلى فضل الأنماطي، فقال: اجعلني في حلٍّ إذا لم أقم بنُصرتك، فقال فضل: لا جعلتُ أحدًا في حِلٍّ، فتبسم أبي وسكت، فلما كان بعد أيام قال لي: مَررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني به هشام بن القاسم، حدثني المبارك، حدثني من سمع الحسن يقول: إذا جَثَتِ الأمم بين يدي رب العالمين يوم القيامة ونُودُوا: لِيَقُم مَنْ أجره على الله، فما يقوم إلَّا من عفا في الدنيا، قال أبي: فجعلتُ الميّت[1] في حِلّ من ضربه إياي، ثم جعل يقول: وما على رجل أن لا يُعذِّب اللهُ تعالى بسببه أحَدًا ". (الآداب الشرعية لابن مفلح:120/1)

30- وقال ابنُ بازٍ-رحمه الله-:" فإنْ عرفْتَ أنَّ ربَّك عَفوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ تقَرَّبْتَ إليه بالعَفْوِ عمَّن ظلَمَك ومَن أساء إليك، وعوَّدْتَ نفسَك العَفْوَ، فإذا عوَّدْتَ نفسَك العَفْوَ استراحَتْ نَفسُك، واطمَأَنَّ قَلبُك، وعظُمَت منزِلتُك عِندَ اللَّهِ وعندَ عبادِه؛ فهو سُبحانَه عفوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ ". (حديث المساء لابن باز ص: 231).

1- أي الخليفة المعتصم.



ومن فضل وفوائِدُ العَفْوِ والصَّفحِ كذلك:

1- في العفْوِ رَحمةٌ بالمُسيءِ، وتقديرٌ لجانبِ ضَعفِه البَشَريِّ. (الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني: 1/408).

2- في العفْوِ امتِثالٌ لأمرِ اللَّهِ، وطَلَبٌ لعَفوِه وغُفرانِه. (المصدر السابق).

3- في العَفْوِ توثيقٌ للرَّوابِطِ الاجتماعيَّةِ التي تتعَرَّضُ إلى الوَهنِ والانفصامِ بسَبَبِ إساءةِ بعضِهم إلى بعضٍ، وجنايةِ بعضِهم على بعضٍ. (المصدر السابق).

4- العَفْوُ والصَّفحُ عن الآخَرينَ سَبَبٌ لنَيلِ مَرضاةِ اللَّهِ سُبحانَه وتعالى.

5- العَفْوُ سَبَبٌ للتَّقوى؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: 237). فرغَّب في العَفْوِ، وأنَّ مَن عفا كان أقرَبَ لتَقواه؛ لكونه إحسانًا مُوجبًا لشَرحِ الصَّدرِ. (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: 105).

6- من يعفو ويصفَحُ عن النَّاسِ يَشعُرُ بالرَّاحةِ النَّفسيَّة.

7- بالعَفْوِ تُنالُ العِزَّةُ: وقد مر بنا قول النبي ﷺ: " وما زاد اللَّهُ عبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا.... (رواه مسلم من حديثِ أبي هُرَيرةَ ﷺ).

8- العَفْوُ والصَّفحُ سَبيلٌ إلى الأُلفةِ والمودَّةِ بَيْنَ أفرادِ المجتَمَعِ، وتقويةٌ لرَوابِطِ الأُخُوَّة.

9- في العَفْوِ والصفحِ الطُّمَأنينةُ والسَّكينةُ وشَرَفُ النَّفسِ.

10- بالعَفْوِ تُكتَسَبُ الرِّفعةُ والمحبَّةُ عِندَ اللَّهِ وعِندَ النَّاسِ؛ فمَن عُرِف بالصَّفحِ والعَفْوِ ساد وعَظُم في القُلوبِ. (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي: 6/ 575).

12- في العَفْوِ والصَّفحِ إنهاءٌ للمُنازَعاتِ والخُصوماتِ، ونَزعٌ للغلِّ والحقدِ والشَّحناء.

13- العَفْوُ شُكرٌ للهِ على المَقدِرةِ على أعدائِك والمُسيئين إليك.



ثانيًا: فضل حُسن الخلق:

الأخلاق: جمع خلق ومعناه في اللغة: اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها.

وفي الاصطلاح: هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية. (قاله الغزالي)

فالكرم مثلا خلق راسخ في نفس الكريم، فإذا رأى فقيراً أو أتاه سائل حمله الكرم على أن يخرج من جيبه فيعطيه من غير تفكير وطول تأمل.

قال تعالى مُثنيًا على حبيبه وصفيه وأشرف خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:**4**)

هو أكمَلُ النَّاسِ أخلاقًا؛ فقدْ أدَّبَه ربُّه فأحسَنَ تأْديبَه.

أرسل الله تعالى النبي ﷺ ليتمم صالح الأخلاق:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والبخاري في" الأدب المفرد" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" بُعِثتُ[1] لأُتمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ[2] ". (صحيح الجامع: **2833**)

- وفي رواية عند الإمام أحمد والبيهقي في" شعب الإيمان":" إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخلاقِ ". (السلسلة الصحيحة: **45**)(صحيح الجامع:**2349**)

1- بُعِثْتُ: أي: أُرسِلْتُ للخلق.

2- لأُتمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ: أي أُكمِّلَ ما انتقَصَ من صالحِ الأخلاقِ، لأن العربُ كانت تَتخلَّقُ ببعضٍ من محاسنِ الأخلاقِ بما بقيَ عندهم من شريعةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، ولكنْ كانوا قد ضلُّوا بالكُفرِ عن كثيرٍ منها؛ فبعثَ اللهُ تعالى النبي ﷺ ليُتمِّمَ محاسنَ ومكارمِ وصالحِ الأخلاقِ الَّتي جبَلَ اللهُ عليها عِبادَه؛ مِن الوفاءِ والمُروءةِ، والحياءِ والعِفَّةِ، فيَجعَلُ حَسَنَها أحسَنَ، ويُضيِّقُ على سيِّئِها ويَمنَعُه.





أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا...".

ولقد وصفت خديجة بنت خويلد-رضي الله عنها- رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي.... فقال:" قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَه: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...". (والحديث بطوله عند البخاري)

قال النووي-رحمه الله-:" قال العلماء: معنى كلام خديجة -رضي الله عنها- أنك لا يُصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء ."

حسن الخلق وصية النبي ﷺ:

أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اتَّقِ اللَّهَ حيثُ ما كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ" (صحيح الترمذي: 1987)(صحيح الترغيب والترهيب: 2655) (صحيح الجامع:97)

قال ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه الفوائد ص:75":" جمع النبي ﷺ في هذا الحديث بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته ".

أخرج ابن حبان والطبراني والحاكم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ أَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. قَالَ:" اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا"، قَالَ:





يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَالَ:" إِذَا أَسَأْت فَأَحْسِنْ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَالَ:" اسْتَقِمْ وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ ". (صحيح الجامع:317)

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْبَزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ:" يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلَا أَدُلُّك عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" عَلَيْك بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا ". (ضعفه بعض أهل العلم وحسنه الألباني في صحيح الجامع:3927)





حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحباب، ويقل الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَة وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن فَإِذَا الَّذِي بَيْنَك وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِي حَمِيمٌ(34)وَمَا يُلقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:34،35)

قال الماوردي–رحمه الله–:" إذا حسُنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغضاب ". (أدب الدنيا والدين ص:237)

أحبُّ عبادِ اللّه إلى اللّهِ أحسنُهُم خلقًا:

– فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أسامة بن شريك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أحبُّ عبادِ اللّه إلى اللّهِ أحسنُهُم خلقًا ". (صحيح الجامع:179) (السلسلة الصحيحة:433)

– وعند الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ:" كنا جلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ كأنما على رؤوسنا الطيرُ ما يتكلم منا مُتكلِّمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا: من أَحَبُّ عبادِ الله إلى اللهِ تعالى؟ قال:" أَحسنُهم خُلُقًا ."

(صحيح الترغيب والترغيب: 2652)

– وأخرج أخرجه أبو داود الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى" وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال:" شَهِدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ ﷺ أعلينا حرجٌ في كذا أعلَينا حرجٌ في كذا فقالَ لَهم عبادَ اللَّهِ وضعَ اللَّهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيهِ شيئًا فذاكَ الَّذي حُرِجَ فقالوا يا رسولَ اللَّهِ هل علينا جناحٌ أن لا نتداوى قالَ تداوَوا عبادَ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضع معَهُ شفاءً إلَّا الْهرمَ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! ما خيرُ ما أعطِيَ



العبدُ؟ قالَ:" خُلُقٌ حسنٌ ". (صحيح ابن ماجه: **2789**) (صحيح الأدب المفرد: **223**)(صحيح الجامع: **3321**)

حسن الخلق من كمال الإيمان:

- أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا. وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم ".(صحيح الترمذي: 1162)(صحيح الجامع:1128)

يقول ابن القيم- يرحمه الله-:" الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين ". (مدارج السالكين:٢/ ٢٩٤)

- وفي رواية:" أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا، وخيارُكم خيارُكم لأهلِه ". (صحيح الجامع:1230)

وقولهﷺ:" أكمَلُ المؤمنينَ إيمانًا"، أي: أكثرُهم اتِّصافًا بصِفاتِ الإيمانِ ومن أكثرِهم تزوُّدًا مِن الطَّاعاتِ، "أحسَنُهم خُلقًا"، أي: الَّذي يَمتثِلُ بالخُلُقِ الحسَنِ بينَ النَّاسِ جميعًا، فيُحسِنُ خلُقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحَمدِ في البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمة، ويكونُ حَسَنَ الخلُقِ مع النَّاسِ بكفِّ الأَذى عنهم، وطَلاقةِ الوجه، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلقِ، والإحسانَ إلى النَّاسِ كافَّةً. (الدرر السنية)

- أخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، الموَطَّؤون أكنافًا، الذين يألفون ويُؤلَفون، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ ". (صحيح الجامع:1231)

- وأخرج محمد بن نصر المروزي في" تعظيم قدر الصلاة" والطبراني في الكبير من حديث ابن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه، وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا؛ وأفضلُ المهاجرين من هجر ما



نهى الله تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ". (صحيح الجامع: 1129)(السلسلة الصحيحة: 1491)

– وأخرج ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" خيرُ الناسِ ذُو القلبِ المخمُومِ[1] واللسانِ الصَّادِق، قِيلَ: ما القلبُ المخمُومِ؟ قال: هو التَّقيُّ النَّقيُّ الذي لا إِثْمَ فيه ولا بَغْيَ ولا حَسَدَ. قِيلَ: فَمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: الَّذي يَشْنَأُ الدُّنيا، ويُحِبُّ الآخِرةَ. قِيلَ: فمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: مُؤمِنٌ في خُلُقٍ حَسَنٍ ".

(صحيح الجامع: 3291) (السلسلة الصحيحة: 948)

– أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما– قال:" لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ فَاحِشًا[2] ولَا مُتَفَحِّشًا، وكانَ يقولُ: إنَّ مِن خِيارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقًا ".

– أخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خيرُكم إسلامًا أحاسِنُكُمْ أخلاقًا إذا فَقِهُوا ". (صحيح الجامع: 3312)

– أخرج الإمام مسلم وأحمد واللفظ له من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ[3]، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ ".(صحيح الجامع: 2880)

– أخرج الإمام مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ قال:" أَقَمْتُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمَدِينَةِ سَنَةً ما يَمْنَعُنِي مِنَ الهِجْرَةِ إلَّا المَسْأَلَةُ، كانَ أَحَدُنَا إذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ

1– ذُو القلبِ المخمُومِ: أي: سَليمِ القَلبِ نَظيفه، وهو من تَخميمِ البَيتِ، أي: كَنْسه وتَنظيفه، والمعنى: أن يكونَ قلبُه نَظيفًا خاليًا من سيِّئِ الأخلاقِ، كما جاء تفسير ذلك في تتمة الحديث.

2– الفُحشُ: زيادةُ الشَّيءِ على المألوفِ مِن مِقْدارِه. والمُتفحِّشُ: الَّذي يَتكلَّفُ ذلك ويتعمَّدُه؛ لفَسادِ حالِه، وقد يكونُ المُتفحِّشُ الَّذي يَأْتي الفاحشةَ.

3– حاكَ في صدْرِكَ: أي تحرك وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنبًا.



ﷺ عن شيءٍ، قالَ: فَسأَلْتُه عَنِ البرِّ وَالإثْمِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ ".

ذَكَرَ النبي ﷺ أنَّ أعظَمَ خِصالِ البِرِّ أوِ البِرَّ كلَّه مُجْمَلًا هو حُسنُ الخُلقِ مَعَ النَّاسِ، ويكونُ حُسنُ الخُلُقِ مع النَّاسِ بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذلِ الخَيرِ الدِّينيِّ والدُّنيويِّ لهم، وطَلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على أذاهم.

ثُمَّ بَيَّن له النَّبيُّ ﷺ أنَّ الإثمَ هو ما تَردَّدَ وتحرَّكَ وأثَّرَ في النَّفْسِ بأنْ لم تَنشرِحْ له، وحلَّ في القلبِ منه الشَّكُّ والخوفُ مِن كونه ذَنْبًا وأَقْلَقَه ولَمْ يطمئنَّ إليه، وكَره أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ؛ لأنَّه محلُّ ذمٍّ وعَيْبٍ، فَتجدُك مُتردِّدًا فيه، وتَكرَهُ أنْ يطَّلِعَ النَّاسُ عَليكَ. وهذه الجُملةُ إنَّما هي لِمَنْ كانَ قَلبُه صافيًا سليمًا؛ فهذا هو الَّذي يَحُوكُ في نَفسه ما كان إثمًا ويَكرهُ أنْ يطَّلعَ عليه النَّاسُ، أمَّا مَن فَسَد قَلبُه وانتَكَسَت فِطرتُه، فقدْ يَنشرِحُ صَدرُه للآثامِ، ويُجاهِرُ بها. والأصلُ أنَّ البِرَّ اسمٌ جامِعٌ لكُلِّ مَعاني الطَّاعةِ، والإثْمَ: اسمٌ جامِعٌ لكُلِّ أنواعِ المَعاصي. (الدرر السنية)

– أخرج الإمام أحمد والبزار وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكم بخِيارِكم؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: خِيارُكم أطولُكم أعمارًا، وأحسنُكم أخلاقًا ". (قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره)

– وأخرج الطبراني من حديث عمير بن قتادة الليثي رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الصَّلاةِ أفضلُ؟ قال: طولُ القنوتِ. قال: فأيُّ الصَّدقةِ أفضلُ؟ قال: جُهدُ المقِلِّ. قال: أيُّ المؤمنين أكملُ إيمانًا قال: أحسنُهم خُلقًا[1] ".

– أخرج البخاري في" التاريخ الكبير" والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" ما عملَ ابنُ آدمَ شيئًا أفضلَ من الصلاةِ، وصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وخُلقٍ حَسَنٍ ". (السلسلة الصحيحة: 1448)

1– فيه سويد بن إبراهيم ولا بأس به في المتابعات.



- أخرج البخاري في" التاريخ الكبير" والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ما عُمِلَ شيءٌ أفضَلُ مِنَ الصَّلاةِ، وصَلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وخُلُقٍ جائزٍ بينَ المُسلِمينَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: **2816**)

- أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بينما أنا عند رسولِ اللهِ ﷺ إذا جاءه رجلٌ فقال يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال:" إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيلِه، وحجٌّ مبرورٌ"، فلمَّا ولَّى الرَّجلُ قال:" وأهونُ عليك من ذلك: إطعامُ الطَّعامِ، ولِينُ الكلامِ، وحُسْنُ الخلقِ "، فلمَّا ولَّى الرَّجلُ، قال:" وأهوَنُ عليك من ذلك: لا تتَّهِمِ اللهَ على شيءٍ قضاه عليك ". (صحيح الترغيب والترهيب: **1307**)

- أخرج الطبراني في" المعجم الكبير" من حديث أُسَامَة بن شريك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنّ النَّاس لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ". (صحيح الجامع:**1977**)

وقوله ﷺ:" إنّ النَّاس لَمْ يُعْطَوْا" بالبناء للمفعول" شَيْئًا" من الخصال الحميدة " خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ" بالضم " حَسَنٍ" فإن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى درجات الأخيار في هذه الدار ودار القرار. قال شيخ الإسلام: لا سبيل إلى السعادة الأخروية إلا بالإيمان وحسن الخلق فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وأفضل زادها بعد الإيمان حسن الخلق وبحسن الخلق ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة.

- وأخرجه ابن ماجه بلفظ:" خَيرُ ما أُعْطِيَ الناسُ خُلُقٌ حَسَنٌ ". (صحيح الجامع: **3321**)





حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم:

- أخرج أبو داود وابن حبان عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ المُؤمِنَ لَيُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجة الصَّائمِ القائمِ". (صحيح الجامع:1932) (صحيح الترغيب والترهيب:2643)

- وأخرج الطبراني في" المعجم الكبير" من حديث أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنّ الرجلَ لَيُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه درجةَ القائمِ بالليلِ، الظامئِ بالهواجِرِ". (صحيح الجامع: 1621)

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنّ الرجلَ لَيُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه درجات قائمِ الليلِ، صائمِ النهار ". (صحيح الجامع: 1620)

- وأخرج البزار من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وإنَّ حُسنُ الخُلُقِ لَيُبَلِّغُ دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ ". (صحيح الجامع: 1578) (السلسلة الصحيحة:1590)

- وأخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَ لَيُبَلِّغُ العبدَ بحسنِ خلقِه دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ ". (صحيح الترغيب والترهيب:2645) (صحيح الجامع:1932)





- وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ المسلِمَ المسَدَّدَ[1] لَيُدرِكُ[2] درجَةَ الصوَّامِ القوَّامِ بآياتِ اللهِ[3]، بِحُسْنِ خُلُقه وكَرَمِ ضَرِيبَتِه ". (صحيح الجامع:1949) (السلسلة الصحيحة:522)

حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار:

- فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقي في" معرفة السنن والآثار" من حديث عائشة -رضِي الله عنها- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّهُ مَن أُعْطيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقَدْ أُعْطيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ، وصلةُ الرَّحمِ، وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ، يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزيدانِ في الأعمارِ ". (السلسلة الصحيحة: 519) (صحيح الجامع:3767)

حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخلقِ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ ". (الترمذي:2003) (صحيح الجامع:5726)

- وعند الإمام أحمد بلفظ:" ليس شيءٌ أثقلُ في الميزانِ من الخُلُق الحسن ". (صحيح الجامع:5390)

- وأخرج الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيَّ ". (صحيح الترمذي: 2002) (صحيح الجامع:5632-5721) (السلسلة الصحيحة:876)

1- إنَّ المُسْلِمَ المُسدَّدَ: والمرادُ بالمسدِّد المُقتصِدُ والمُعْتدِلُ في أُمورِه، أو هو المُوفَّقُ الذي وفَّقه ربُّه لحُسْنِ الخُلُقِ، وطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وطاعة رسوله ﷺ، أو هو المستقيم على طاعة الله تعالى.

2- لَيُدْرِكُ: أي: يبْلُغُ.

3- دَرجةَ الصَّوَّامِ القوَّامِ بآياتِ اللهِ: أي مَن يُداوِمُ على صومِ النَّهارِ وقيامِ اللَّيْلِ بالقُرْآن، وذلك بحُسْنِ خُلُقِهِ.: هي السجية والطبيعة. وكرَمِ ضَريبَتِهِ: بفتح الضاد المعجمة؛ أي حسن طبيعته وسجيته. أي أنَّ طبيعتَهُ كريمةٌ وسمحةٌ وسهلةٌ.



– وأخرج ابن حبان من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أثقلُ شيءٍ في الميزانِ، الخلقُ الحسنُ ". (صحيح الجامع:134)

– وأخرج البيهقي في" السنن" من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أثقلُ شيءٍ في ميزانِ المؤمن خلُقٌ حسنٌ، إنَّ اللَّهَ تعالى يُبغِضُ الفاحشَ المتفحشَ البَذيءَ ". (صحيح الجامع:135)

حسن الخلق يجنب المسلم منزلة السوء يوم القيامة:

– فقد أخرج البخاري عن أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" إن شرَّ الناسِ عند اللهِ منزلةً يومَ القيامةِ من تركَه الناسُ اتقاءَ شرِّه ".

حسن الخلق يحفظ على المسلم حسناته ويجنبه الإفلاس يوم القيامة:

– فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه. فإن فَنِيَتْ حسناتُه، قبل أن يقضيَ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه. ثمَّ طُرِح في النَّارِ".

حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة:

– فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: "سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: "تَقْوى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ"، وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ، قال: "الفَمُ والفَرْجُ ". (صحيح الترمذي:1630) (صحيح الترغيب والترهيب:2642)



بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه:

– فقد أخرج أبو دواد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" أنا زعيمٌ[1] ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ[2] لِمَن تَرَكَ المِراءَ[3] وإن كان مُحقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنة لِمَن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُه ". (صحيح الجامع:**1464**) (السلسلة الصحيحة:**273**)(صحيح أبي داود: **4800**)

حسن الخلق سبب في القرب من الرسول ﷺ:

– فقد أخرج الترمذي من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ من أبغضِكم إليَّ وأبعدَكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ[4]، والمتشدِّقونَ[5]، والمتفيهِقونَ[6]، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفيهِقونَ؟ قالَ: المتكَبِّرونَ". (صحيح الجامع:**2201**) (السلسلة الصحيحة:**791**)

– وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخرةِ محاسنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم منِّي في الآخرةِ؛ أساوِئُكم أخلاقًا الثَّرثارونَ المُتَفيْهِقونَ المُتشدِّقونَ ".

1– أنا زَعِيمٌ: أي: ضامنٌ وكفيلٌ.

2– في رَبَض الجنَّة: هو ما حولها، خارجًا عنها. أي: نواحيها وأطرافها. (النهاية لابن الأثير:2/185)

3– المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، والمراء: هو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو الجدال.

4– الثَّرثارون: الَّذين يُكثِرون الكَلامَ ويتكلَّفون فيه بغيرِ حقٍّ بالسَّجعِ والحَشْوِ وغيرِه، ويُردِّدونه كثيرًا،

5– المتشدِّقون: الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ، ويَلْوون ألسِنتَهم به، ويَفتخِرون به بغيرِ حقٍّ، وقيل: معناه: الَّذين يَستهزِئون بالناسِ بلَيِّ أشْداقِهم، والشِّدقُ هو جانبُ الفمِ.

6– المتفيهِقون: من الفَهْقِ وهو الامتِلاءُ والاتِّساعُ، أي: الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ ويَفتَحون به أفواهَهم وهذا لكِبْرِهم ورُعونتِهم.





- وأخرج الحارث في" مسنده" والخرائطي في" مكارم الأخلاق" من حديث ابن عباس- رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" خيارُكم أحاسنُكم أخلاقًا، الموَطَّؤونَ أكنافًا، وشرارُكم الثَّرثارونَ، المتفيهِقونَ، المتشدِّقونَ ". (صحيح الجامع: 3260)

- وأخرج الطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافًا[1]، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب ".

- أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:"

إنَّ من أحبِّكم إليَّ أحسنُكم أخلاقًا ". (صحيح الجامع: 2200)

- وأخرج البخاري ومسلم وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا أُخبركم بأحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ؟ فأعادها مرتَين أو ثلاثًا. قالوا: نعم يا رسولَ اللهِ! قال: أحسنُكم خُلُقًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: 2650)

- وأخرج ابن عساكر من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أقربِكُم منِّي منزلًا يومَ القيامةِ: أحاسنَكُم أخلاقًا في الدنيا ". (صحيح الجامع:1573)

1- الموطؤون أكنافًا: الكنف: هو جانب البهيمة، ودابة موطأة الكنف: أي يركبها صاحبها بسهولة ويقال للفراش: هذا فراش وطئ، أي عندما تنام عليه لا يؤذي جنبك، فكذلك الإنسان المؤمن عندما تميل عليه لا يؤذيك أبدًا، ويكون حسن الخلق.





شهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه سبب في دخول الجنة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرًا، فقال نبيُّ الله ﷺ: "وجَبَت، وجبَت، وجبَت"، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله ﷺ: "وجبَت، وجبَت، وجبت"، قال عمرُ: فِدًى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرًا فقلتَ: وجبت، وجبت، وجبت، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرًّا فقلتَ: وجبَت، وجبَت، وجبت؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "مَن أثنيتُم عليه خيرًا وجبَت له الجنةُ، ومن أثنيتُم عليه شرًّا وجبت له النارُ؛ أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض ".

الدعاء بطلب حسن الخلق:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:186)

لذا فإن أهم سبب للتحلي بحسن الخلق هو الإلحاح في الدعاء والرجاء من الله تعالى لكي يرزقنا حسن الخلق،

فقد أخرج ابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:" اَللَّهُمَّ حَسَّنتَ خَلْقِي فَحَسِّن خُلُقِي ". (صحيح الجامع:1307).

وقال بعض الحكماء: لحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، ولسيء الخلق من نفسه في عناء، والناس منه في بلاء.

وقال بعضهم: عاشر أهلك بحسن الأخلاق، فإن السوء فيهم قليل، وإذا حسنت أخلاق المرء كثر مصادقوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب ".



وقال الحكماء:" في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ".

قال الماوردي–رحمه الله–: وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلام ".

ثالثًا: فضل وفوائد وثمرات المراقبة:

والمُرَاقَبَةُ: هِيَ استدامةُ عِلْمِ العبد باطلاع الرَّب عليه في جميع أحواله. (التعريفات لعبد القادر الجرجاني ص:210)

قَالَ ابنُ القيم–رَحِمَهُ اللهُ–:" الْمُرَاقَبَةُ: دَوامُ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَيَقُّنه بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِه، فَاسْتِدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ، وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْه، نَاظِرٌ إِلَيْه، سَامِعٌ لِقَوْلِه، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ ". (مدارج السالكين:65/2)

وحقيقة المراقبة: أن يكون العبد على علم ويقين أن الله تعالى ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على ظاهره وباطنه، عالم بسره وعلانيته، لا يخفى عليه شيء من أقواله وأفعاله، لا يغيب عنه شيء من أحواله وخواطره.. فهو سبحانه وتعالى العليم الخبير، السميع البصير، الرقيب الشهيد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 4).

قَالَ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

قَالَ ابن كثير–رَحِمَهُ اللهُ–:" وقَوْلُه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أَيْ: هُوَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ". (تفسير ابن كثير:2/206)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:7)

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس:61)

وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة سبأ:3)

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(سورة الأنعام:3)

وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأنعام: 59)

فهو سبحانه يعلم مثاقيل الجبال، وعدد الرمال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار.

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر:19)

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك:13)

فمن تكلم.. علمَ الله تعالى نطقَه، ومن سكت.. علم الله عز وجل فِكرَه، ومن أسرّ.. أحاط الله بسريرته، وعلم ما يجول في خاطره.

وهو السميع يرى ويسمع كل   ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر   فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات   لا يخفى عليه بعيدها والداني

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَربُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (القصص:69).

قَالَ الطبري–رَحِمَهُ اللهُ–:" ورَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي صُدُورُ خَلْقِه؛ وَمَا يُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ ". (تفسير الطبري:303/18).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النحل:19)

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:1)

قالت عائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عنها– في قِصَّةِ المجادَلَة:" تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ كلها ". (أخرجه الإمام أحمد)

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فلو علم كل إنسان منا أن الله تعالى يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع كلامه، لراقبه في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

والذي يستحضر مراقبة الله عز وجل لا يتجرأ على محارمه، ولا يُسرف في معصيته، لأنه على يقين أن الله يسمعه ويراه، فيخاف من الله، ويستحيي منه، ويبتعد عما حرمه الله في سره وعلانيته، وظاهره وباطنه، فيما بينه وبين خالقه، وفيما بينه وبين خلق الله، وهذه وصية النبي ﷺ لأمته: فقد أخرج الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ".

فنحن مأمورون بمراقبة الله تعالى على كل حال.



من أقوال السلف الصالح في المراقبة:

1- قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ:" لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ تَلْعَنَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَيُلْقِي اللَّهُ لَهُ الْبُغْضَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص: 162).

2- قال سهل-رحمه الله-:" لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان".

3- وقال سفيان الثوري-رحمه الله-:" عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة ".

4- وقال ابن المبارك- رَحِمَهُ اللهُ- لرجل: راقبْ الله تعالى، فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عز وجل ". (إحياء علوم الدين:4/397).

5- وقال فرقد السبخي-رحمه الله-:" إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله عز وجل ".

قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء: 108) أي: يستترون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبِّرون ليلا ما لا يرضى من القول، وكان الله تعالى محيطًا بجميع أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.



وكم ذي معاص نال منهن لذة ومات فخلاّها وذاق الدواهيا
تصرمُ لذّات المعاصي وتنقضي وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا
فيا سوءتا والله راءٍ وسامع لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا

6- قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:" إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ، فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ ". (إحياء علوم الدين)

7- يقول ابن الجوزي-رحمه الله-:" راقب من يراك على كل حال، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال، وطهر سرك فهو عليم بما يخطر بالبال ". (المواعظ لابن الجوزي ص:107)

8- وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له فقال:" أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيّك في سريرتك ورقيبك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك، والسلام ".

9- وقال محمد بن علي الترمذي -رحمه الله-:" اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمة عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه ". (إحياء علوم الدين)

10- وقال حاتم الأصم-رحمه الله-:" تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت، فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت، فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت، فاذكر علم الله فيك ". (سير أعلام النبلاء)



الْمُرَاقَبَةُ تجعلُ المسلمَ يَصِلُ إلى درجة الإحسان:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ ذَات يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَاب، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَر، لا يُرى عَلَيْه أَثَرُ السَّفَر، ولا يَعْرِفُهُ منا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبي ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْه إِلَى رُكْبَتَيْه ووَضَع كَفَّيْه عَلَى فَخذَيْه، وَقَال يَا مُحمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:" الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَتُقيمَ الصَّلاَة، وَتُؤتى الزَّكَاة، وَتَصوم رَمضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبِيلًا "، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَان؟ قَال: " أَنْ تُؤْمن باللَّه وَمَلائكَته وكُتُبه وَرُسُله والْيَوْمِ الآخِر وَتُؤمنَ بالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه "، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَان؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاك... الحديث. وفي آخره قَالَ: " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتاكُم يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".

- فالإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال. و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: 60)

فالمحسِنُونَ هم الفَائِزون بمحبَّةِ الله جلَّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134)

والمحسِنُونَ همُ المنتفعونَ بآياتِ القُرآنِ العَظيمِ: ﴿الم(1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (لقمان:1-3)



والمحسِنونَ يعطيهم الله ما يشاءون يوم القيامة: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر: 34)

والمحسِنونَ أجرُهُم محفوظٌ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: 120)

والمحسِنُونَ لا يَزالونَ مُبشَرينَ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج: 37)

والمحسِنونَ مَوعُودُونَ بالمزيد: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: 58)

لو لم يكن للمحسنين من فضل إلا الفوز بمعية الله لكفى بها من فضل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: 128).

وكذلك الإحسان سبيل للفوز برحمة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:56)

يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله– في تفسيره القيم ص:258:" وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم؛ لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان، لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته. وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بَعُد عن الإحسان بَعُدت عنه الرحمة بُعدًا ببعدٍ وقربًا بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته ". اه

والمحسِنُونَ لهم مَوعِدٌ مع رُؤيةِ ربهم في الجنَّة: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: 26)



المراقبة سبب في صلاح الأفراد والمجتمعات:

فمراقبة الله عز وجل تحيي القلوبَ المَوات، وتوقظُ الضّمائرَ مِنَ السّبات، وتحَرِّكُ في الإِنسانِ دَوَاعِي الخَيْرِ، وتُميتُ فِيه نَوازِعَ الشر. فالإنسان لا يخطو خطوة إلا وهو يسأل نفسه؛ هل هذا العمل يرضي الله أم لا؟ فهو دائما يراقب الله في جميع حركاته وسكناته وخطواته ولحظاته وخطواته، ومن راقب الله فإن ذلك يكون باعثًا له على خشية الله في السر والعلن، وتلك الخشية تكون حاديًا له على العمل بطاعة الله خوفا من عقابه وطمعًا في جنته. وبهذا ينصلح حال الأفراد والمجتمعات.

والذي يستحضر مراقبة الله عز وجل، لا يقصّر في عمله، ولا يغش في وظيفته، بل يجتهد في إتقان عمله والنبي ﷺ يخبرنا أن الله عز وجل يحب من عباده أن يتقنوا أعمالهم ويحسنوها، فقد أخرج البيهقي عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ ". (صحيح الجامع: **1880**) (الصحيحة: **1113**)

والمراقبة تعمل في الإنسان ما لم تستطيع قوانين الدنيا أن تفعله في الإنسان الذي غابت عنه المراقبة فتراه يهرب من عقوبة الجريمة التي ارتكبها، ويبحث عن ثغرات في القانون حتى تسقط عنه العقوبة، لكن الإنسان الذي يراقب الله عز وجل إذا ما وقع في جريمة فإن إيمانه يقوده إلى أن يعترف على نفسه، ويطلب القصاص من نفسه حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه، كما حدث مع ماعز الأسلمي والغامدية -رضي الله عنهما- فكل منهما أعترف على نفسه، والذي دفعهم لهذا هي مراقبة الله تعالى. والتي تسقط أمامها رقابة البشر، فإن مراقبة البشر قاصرة، فالبشر يغفل وينام، ويسهو وينسى.



المراقبة تجعل الإنسان يحسن في عبادته:

– فالمراقبة تجعَلُ الإنسان يتَوضَّأ للصلاة دون رَقيبٍ من البشر؟ ولو دخَل الصلاةَ بلا وُضوء ما علم أحدٌ.

– والمراقبة هي التي تجعلُ الإنسان يُصلِّي ويأتِيَ بأركان الصلاة وواجباتها دُون إخلالٍ بشيءٍ من شُروطها، ولو دخَل الصلاة ولم يتلفَّظ بالأذكار ما علم أحدٌ.

– والمراقبة هي التي تجعَلُ الإنسان يصومُ طاعةً لله، والصوم عبادة سريَّة بين العبد وربِّ البريَّة، ولو أفطر ما علم أحدٌ.

– والمراقبة هي التي تجعلُ الإنسان يُخرِجُ زكاة ماله طيِّبة بها نفسُه، ولو أمسَكَها ما عَلِمَ به أحدٌ.

– والمراقبة هي التي تجعلُ الإنسان لا يعصي الله في خَلواته، ولو فعَل معصيةً في السر لم يعلمْ به أحد.

– والمراقبة هي التي تجعَلُ الإنسان يخلصُ في أعماله كلها.

مراقبة الله تقي الإنسان من الوقوع في المعصية أو الفاحشة:

فمراقبة الله في السر والعلن دليل على قوة إيمان العبد بالله عز وجل، وباسمه الرقيب الذي هو اسم من أسمائه الحسنى الدالة على عظمته وجلاله وكماله، فهو الرقيب الذي لا يغيب عنه شيء من أمور خلقه، الحفيظ الذي لا يَغفُل، الحاضر الذي لا يَغيب، العليم الذي لا يَعزب عنه مثقال ذرة من أحوال خلقه، يرى أحوال العباد، ويُحصي أعمالهم، ويُحيط بمكنونات سرائرهم، فهو مطلع على الضمائر، شاهد على السرائر، يعلم ويرى، ولا يخفى عليه السر والنجوى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وقال عز وجل عن نبيه عيسى–عليه السلام–: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: 117)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة:6)

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق:14) تنبيه على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحى من ارتكاب الذنب.

وقد سُئِلَ الْجُنَيْدُ –رَحِمَهُ اللهُ– بِمَ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ قَالَ:" بِعِلْمِك أَنَّ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْك أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِك إِلَى مَا تَنْظُرُه ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص:162).

يا مدمن الذنب أما تستحي — والله في الخلوة ثانيكا

غرّك من ربك إمهاله — وستره طول مساويكا

وقال حميد الطويل لسليمان بن عليّ: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت ".

وقد قيل لحاتم الأصم–رحمه الله–: بما حققت التوكل على الله؟ قال: بأربع خصال:" علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعدت الزاد للقاء الله تعالى ". (رواه البيهقي في" الشعب" وأبو نعيم في" الحلية")

ولما غاب هذا الأصل الأصيل تجرئ بعض المسلمين على رب العالمين، فإذا غابوا عن أعين الناس وخلوا بأنفسهم تجرؤا على محارم الله فانتهكوها، فضاع منهم أعز ما يملكون، ضاعت الحسنات في وقت هم أحوج فيه إلى حسنة.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث ثَوْبَان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا "،

قَالَ ثوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قَالَ:" أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا[1] خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ". (صحيح ابن ماجه: **3442**)

وفي نونية القحطاني:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلى الطُغْيَانِ
فاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإلَه وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلاَمَ يَرَانِي

يقول ابن عباس–رضي الله عنهما–:" خَوْفُكَ من الرِّيحِ إذا حَرَّكَتْ سِتْرَ بابِكَ وأنتَ على الذَّنبِ، ولا يضطربُ فؤادُكَ منْ نَظَرِ اللهِ إليكَ أعظمُ منَ الذَّنبِ إذا عملتَهُ...".

ولقي رجل أعرابية فأرادها على نفسها فأبت، وقالت: أي ثكلتك أمك أمالك زاجر من كرم؟ أمالك ناه من دين؟ قال: والله لا يرانا إلا الكواكب! قالت: ها بأبي أنت! وأين مكوكبها؟. (رواه البيهقي في الشعب)

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلا أَنَّ مَا يَخفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

---

[1]– فالتعبير بـــ " إذا " يدلّ على الكثرة والاستمرار، وأن هذا هو شأنهم وديدنهم مع محارم الله فجعلوا الله أهون الناظرين إليهم. ولفظ" إذا " يدلّ على الكثرة كما في صفة المنافق: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان. وهذا كحال المنافقين الذين قال الله عز وجل عنهم: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء: **108**)

نماذج مشرقة في سماء المراقبة:

يوسف–عليه السلام–:

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق من العفاف أعظم ما يكون فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه كان شابًا والشباب مركب الشهوة، وكان عزبًا ليس عنده ما يعوضه وكان غريبًا عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيوهم فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك وكانت هي المطالبة، فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطاها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة وأتته بالرغبة والرهبة. ومع هذا كله فعف لله ولم يطعها وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله ".

اه

إها المراقبة لله التي جعلته يقول: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: 33)

– مراقبة شاب عفيف؛ يقول عنه رجاء بن عمر النخعي–رحمه الله–:

كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد فترل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها مثل الذي نزل به. فأرسل يخطبها من أبيها فأخبره أبوها أها مسماة لابن عم لها. واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك لذلك مع وجدي بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى مترلي. فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الزمر:13)

أخاف نارًا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهبها. فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت: وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون. ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تتعبد لله عز وجل ".

(كتاب التوابين لابن قدامة)

مراقبة الله وقاية من الغش والمكر والخديعة:

فما انتشر الغش بين الناس في أعمالهم، وفشا المكر والتحايل في معاملاتهم، وعمّ الغدر والخيانة في علاقاتهم، إلا عندما غابت عن حياة الناس مراقبة الله عز وجل، وضعفت في نفوسهم خشية الله عز وجل. وأهمّ علاج ودواء لهذه الآفات المدمرة والمنكرات المهلكة أن يستحضر العبد مراقبة الله عز وجل؛ فالذي يستحضر مراقبة الله تعالى على الدوام، ويعلم علم اليقين أن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يُحْصِي عليه أعماله، ويَعُدّ له أخطاءه؛ فهذا يحمله على أن لا يغش، ولا يمكر، ولا يخون، ولا يخادع، بل يستحيي من الله ويخاف من الله أن يراه وهو يغش في عبادته أو يغش في عمله أو يغش في معاملته. والذي يستحضر مراقبة الله، لا يحتاج إلى مراقبة أحد من الناس؛ لأن الله تعالى أعظم في قلبه من كل أحد، وأكبر عنده من كل أحد، يُتقن عمله ويُحسِنه، ويجتنب الغش بجميع صوره وأشكاله، تقربًا إلى الله، ومحبة وتعظيمًا له، وحياءً منه، وطلبًا لمرضاته، وخوفا من عذابه.

وهذا نموذج من الناس غابت المراقبة عنه فعمد إلى الغش، فنهاه النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ:" مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟"، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ".

فالواجب على العبد أن يتقي الله في سره وعلانيته، وأن لا يتجرأ على معصية خالقه في خلوته، وأن يستحضر دوما أن الله مطلع عليه وناظر إليه.



مراقبة الله سبب لمغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (سورة الملك:12)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات (المتواصلات)، والمشتهيات، والقصور (والمنازل) العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان. وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان ". اه

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (سورة يس:11)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾ أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي: من قصده اتباع الحق وما ذكر به، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية اللّه تعالى بالغيب، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبو هريرة ﷺ قالَ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: إذا تَحدَّثَ[1] عَبْدِي بأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فأنا أكْتُبُها له حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْ، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها بعَشْرِ أمْثالِها، وإذا تَحدَّثَ بأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فأنا أغْفِرُها له ما لَمْ يَعْمَلْها، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها له بمِثْلِها. وَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: قالَتِ المَلائِكَةُ: رَبِّ، ذاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وهو أبْصَرُ به، فقالَ: ارْقُبُوهُ فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، إنَّما

1- تَحدَّثَ: أي عزم وأراد.



تَرَكَها من جَرَّايَ[1]. وَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إذا أحْسَنَ أحَدُكُمْ إسْلامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بمِثْلِها حتَّى يَلْقَى اللَّهَ.

فهذا العبد عندما همَّ بالمعصية لم يكن معه أحد، ولكنه ترك هذه المعصية من أجل الله عز وجل، والدافع لهذا هو مراقبة الله تعالى. فصارَ تَركُه لهذه المعصية حَسنةً تفضلًا من الله عليه.

مراقبة الله تجعل الإنسان لا يدخل جوفه إلا الحلال:

وهذه نماذج من سير السلف الصالح ممن راقبوا الله تعالى، فتحروا الحلال، وابتعدوا عن أكل الحرام:

أخرج البخاري من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: كانَ لأبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ له الخَرَاجَ، وكانَ أبو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِن خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بشَيءٍ، فأكَلَ منه أبو بَكْرٍ، فَقالَ له الغُلَامُ: أتَدْرِي ما هذا؟ فَقالَ أبو بَكْرٍ: وما هُوَ؟ قالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ، وما أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إلَّا أنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فأعْطَانِي بذلكَ؛ فَهذا الذي أكَلْتَ منه. فأدْخَلَ أبو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ.

قال قتادة-رحمه الله-: كان مُعَيقيبٌ على بيت مال عمر فكسَح بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفَعَه إلى ابن لعمر، قال مُعيقيبٌ: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال: "ويحك يا مُعيقيب! أوجدت عليَّ في نفسك شيئًا؟ أَوَ مالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: أردت أنْ تُخاصِمني أمَّةُ محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة.

1- جَرَّايَ: من أجلي.





مراقبة الله تفتح على الإنسان أبواب الرزق:

1- راعي الغنم وحسن مراقبته لله:

عن نافعٍ مولى ابنِ عمر-رضِي الله عنهما- قال:" خرج عبد الله بن عمر-رضِي الله عنهما- في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضَعُوا السفرة لَهُ، فمَرَّ بهم راعي غنمٍ، فسلَّم، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعٍ فأصِبْ من هذه السفرة، فقال له: إنِّي صائم، فقال ابن عمر: أتصومُ في مثل هذا اليوم الحارِّ الشديد سمومُه وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟! فقال: والله إنِّي أبادر أيامي الخالية، فقال لهُ ابن عمر وهو يريد أنْ يختبر ورعه وأمانته: فهل لك أنْ تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنُعطِيَك ثمنها ونُعطِيَك من لحمِها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنمٍ، إنها غنمُ سيدي، فقال له ابنُ عمر: فما يفعلُ سيدك إذا فقَدَها؟ فولَّى الراعي عنه، وهو يرفعُ أصبعَه إلى السَّماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يُردِّدُ قولَ الراعي: أين الله؟ قال: فلمَّا قدم المدينة بعَث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتَقَ الراعي ووهَبَ له الغنم ". (أسد الغابة لابن الأثير:3/341)

2- المبارك -رحمه الله- وحسن مراقبته لله:

كان المبارك عبدًا رقيقًا يشتغلُ أجيرًا عند صاحب بستان، وفي ذات يومٍ خرَج صاحبُ البستان مع أصحابٍ له إلى البستان وقال للمُبارك: ائتنا برمّان حلو، فقطف المبارك رمانات ثم قدَّمَها إليهم، فإذا هي حامضةٌ، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال المبارك: لم تأذَنْ لي أنْ آكُل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرسُ البستان وتقول هذا! وظَنَّ أنَّه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكَل رمانة واحدة. فقال له صاحب البستان: يا مبارك، أريد أنْ أستشيرَك في أمر هام، إنَّني ليس عندي إلا ابنة واحدة، فلمَن أُزوِّجها؟ فقال له: يا سيِّدي، لقد كان اليهود يُزوِّجون للمال، والنصارى يُزوِّجون للجمال، والعربُ يُزوِّجون للحسَب، والمسلمون يُزوِّجون للتَّقوى، فمن أيِّ الأصناف أنت



زوج ابنتك للصِّنف الذي أنت منه. فقال: والله لا أُزوِّجها إلا على التقوى، وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتُك وزوَّجتك ابنتي".

سبحان الله! عَفَّ المبارك عن رمَّانة من البستان فسِيق إليه البستانُ وصاحبته، والجزاء من جِنس العمل. ومَن ترَك شيئًا لله عوَّضَه الله خيرًا منه!

ومن هذا البيتِ خرَج عبد الله بن المبارك الذي ملأ الدنيا عِلمًا ووَرَعًا، وكان يقولُ: لأنْ أردَّ درهمًا من شُبهةٍ خيرٌ لي من أنْ أتصدَّق بمائة ألف دِرهم ومائة ألف درهم، حتى عَدَّ ستمائة ألف درهم، وصدَق الله حيث قال: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (الأعراف: **58**)

3- ثابت بن إبراهيم رحمه الله وحسن مراقبته لله:

يمرُّ ثابتٌ على بستانٍ من البساتين، وكان قد جاع حتى أعياه الجوع، فوجد تفاحةً ساقطة منه، فأكل منها النصف، ثم تذكَّر أنها لا تحلُّ له؛ إذ ليست من حقِّه، فدخل البستان فوجد رجلًا جالسًا فقال له: أكلتُ نصف تفاحةٍ فسامحني فيما أكلتُ وخُذِ النصف الآخَر، فقال الرجل: أمَا إنِّي لا أملك العفو ولكن اذهب إلى سيدي فالبستان ملكٌ له، قال: أين هو؟ قال: بينك وبينه مسيرة يوم وليلة، قال: لأذهبنَّ إليه مهما كان الطريق بعيدًا؛ فالنبيُّ ﷺ قال:" كلُّ لحمٍ نبت من سُحْتٍ فالنار أَوْلَى به"، حتى وصَل إلى صاحب البستان، فلمَّا دخَل عليه وقصَّ عليه القصص قال صاحب البستان: والله لا أسامحك إلا بشرطٍ واحد. فقال ثابت: خُذْ لنفسك ما رضيت من الشروط. فقال: تتزوَّج ابنتي، ولكن هي صماء عمياء بكماء مُقعدة. فقال ثابت: قبلت خطبتها، وسأُتاجر فيها مع ربي ثم أقوم بخدمتِها، وتَمَّ عقد الزواج فدخل ثابت لا يعلم هل يلقي السلام عليها أو يسكت، ولكنَّه آثر إلقاء السلام لتردَّ عليه الملائكة، فلمَّا ألقى السلام وجدها تردُّ السلام عليه، بل وقفت وسلمت عليه بيدها فعلم أنها ليست كما قال الأب، فسألها فقالت: إنَّ أبي أخبرك بأنِّي عمياء فأنا عمياء عن الحرام فلا تنظر عيني إلى ما حرَّم الله، صمَّاء من كلِّ ما لا يرضي الله، بكماء لأنَّ لساني لا يتحرَّك إلا بذِكر الله، مقعدة لأنَّ قدمي لم تحملني



إلى ما يغضب الله، ونظر ثابت إلى وجهها فكأنَّه القمر ليلة التمام، ودخل بها وأنجب منها مولودًا ملأ طباق الأرض علمًا"، إنه الفقيه أبو حنيفة النُّعمان، فمن نسل الورع والأمانة جاء الفقيه ".

مراقبة الله سبب لتزكية النفس:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس:9،10)

فالجنة لا يدخلها إلا كل نفس زكية طاهرة طيبة.

أخرج أبو داود والبيهقي من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثٌ من فعلَهنَّ فقد طعِمَ طعمَ الإيمانِ من عبدَ اللَّهَ وحدَهُ وأنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وأعطى زَكاةَ مالِه طيِّبةً بِها نفسُهُ...". (صحيح أبي داود: 1580) (صحيح الجامع:3041)

زاد البيهقي في روايته:"... وزكَّى نفسَه"، فقال رجلٌ: وما تزكيةُ النفْسِ؟ فقال:" أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ معه حيثُ كان ". (السلسلة الصحيحة:1046)

وكان ابن عمر-رضي الله عنهما- يقول:" لا يجد عبدٌ صريحَ الإيمانِ حتى يعلمَ بأن الله تعالى يراه. فلا يعمل سرًا ما يفتضح به يوم القيامة ".

مراقبة الله تجعل الإنسان يؤدي ما عليه من الحقوق:

فقد أخرج البخاري عن أبي هُريَرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:" إنَّ رجلًا من بني إسرائيل سأل بعضَ بني إسرائيلَ أنْ يُسلفهُ ألف دينارٍ، فقال له الرجل: ائتني بشُهَداء أُشهدهم، قال: كفَى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيلٍ، قال: كفَى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمًّى، فخرَج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمَس مَركبًا يقدمُ عليه للأجل الذي كان أجَّلَه فلم يجِدْ مركبًا، فأخَذ خشبةً فنقرها، وأدخَل فيها ألفَ دينارٍ وصَحيفةً معها إلى صاحبها، ثم زجَّجَ[1] مَوضِعَها، ثمَّ أتى بها البحر ثمَّ قال: اللهم إنَّك قد علمتَ أنِّي استلفْتُ من فلانٍ ألفَ دينارٍ فسألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا فرضيَ بك، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفَى بالله شهيدًا

1- زجج: سوى موضع النقر وأصلحه.





فرضِي بك، وإنِّي قد جَهِدتُ أنْ أجدَ مركبًا أبعثُ إليه بالذي له فلم أجد مركبًا، وإنِّي استودَعتُكَها، فرَمَى بها في البحر حتى ولَجتْ[1] فيه ثُمَّ انصَرف ينظُر وهو في ذلك يطلُب مركبًا يخرُج إلى بلدِه، فخرَج الرَّجُل الذي كان أسْلَفَهُ ينظُر لعلَّ مركبًا يجيءُ بمالِه، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخَذَها لأهْله حَطَبًا، فلَمَّا كسَرَها وجد المال والصَّحيفة، ثم قدم الرَّجُل الذي كان تَسلَّفَ منه فأتاه بألفِ دِينارٍ وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمالك فمَا وجدتُ مركبًا قبلَ الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: ألم أُخبرِكَ أنِّي لم أجدْ مركبًا قبلَ هذا الذي جِئتُ فيه؟ قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ به في الخشَبة، فانصرفْ بألْفِك راشِدًا".

فلم يكن هناك ما يثبت حق هذا الرجل، ومع هذا دفع المال إليه، والدافع لهذا هي مراقبة الله تعالى.

مراقبة الله سبب للنجاة في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثٌ مُهلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ كفَّاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، فأمَّا المُهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المَرءِ بنَفْسه، وأمَّا المُنْجياتُ: فالعَدْلُ في الغضَبِ والرِّضا، والقَصْدُ في الفَقرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ في السِّرِّ والعَلانية، وأمَّا الكفَّاراتُ: فانتظارُ الصَّلاة بعدَ الصَّلاة، وإسباغُ الوُضوءِ في السَّبَرات، ونَقْلُ الأقدامِ إلى الجمَاعات، وأمَّا الدَّرجاتُ: فإطعامُ الطَّعام، وإفشاءُ السَّلامِ، وصلاةٌ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الالباني في صحيح الجامع:3045، والصحيحة:1802)

1- ولجت: دخلت.





مراقبة الله سبب في تفريج الكروب:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" انطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ ممَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوُا المَبِيتَ إلى غارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهِمُ الغارَ، فقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، وفي الحديث:"... وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها. قالَ النَّبيُّ ﷺ: وقالَ الثَّالِثُ: اللهمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأعطَيْتُهم أجرَهم غيرَ رَجُلٍ واحدٍ، تركَ الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجرَه، حتى كثرتْ منه الأموال، فجاءني بعد حينٍ، فقال: يا عبد الله، أَدِّ إليَّ أجري، فقلتُ: كُلُّ ما ترى مَن أجرِك: من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستَهزِئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخَذَه كُلَّهُ فاستاقَهُ، فلم يترُك منه شيئًا، اللهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنَّا ما نحنُ فيه، فانفرجت الصخرة؛ فخرجوا يمشُون ".

مراقبة الله سبب أن يستظل العبد في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

والناظر لأحوال هؤلاء السبعة يلاحظ أن الذي يجمعهم هي مراقبة الله عز وجل.



مراقبة الله سبيل لدخول الجنة:

اللَّه عز وجل قد أعدَّ لمن راقبَهُ وخَشِيَه أجْرًا عظيمًا، ومقامًا رفيعًا.

فقال تعالى: ﴿وأُزْلِفَت الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِين غَيْرَ بَعِيد(31) هَذَا مَا تُوعَدُون لِكُلِّ أَوَّاب حَفِيظ(32) مَنْ خَشِي الرَّحْمَنَ بِالْغَيْب وَجَاء بِقَلْب مُنِيب(33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِك يَوْمُ الْخُلُودِ(34) لَهُمْ مَا يَشَاءُون فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (سورة ق: 31- 35).

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَان﴾ (سورة الرحمن: 46)

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال:" الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها ".

- وفي رواية قال:" في الذي إذا همّ بمعصية تركها ".

- وفي رواية قال:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله ". (تفسير الطبري)

وقال الضحاك–رحمه الله– في الآية السابقة:" هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يحب أن يطلع عليه أحد ". (تفسير البغوي)

وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب ".



وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك





المحتويات





